مصطفى محمود

٥٥ مشكلة حب



مصطفى محمود



٥٥ مشكلة حب

الطبعة السابعة

دار المعارف

مقدمة

بعض الأمراض يشفيها الكلام ... مثل أمراض النفس وعذابات الوجدان وجراح القلوب .

وليس الكلام هنا النصائح والعظات والعبر والآراء السديدة .
ولكنه كلام الإنسان لنفسه ... إفضاؤه ... ونجواه ... واعترافه بما يؤرقه .
الإفضاء ... مجرد الإفضاء ... والإفشاء ... والاعتراف ولو للورق .

فض مكنون القلب والتعبير عن مشاعره الحبيسة المخنوقة المذبوحة فى طيات الضلوع .. يشفى ويريح ...
الدمعة المسكوبة لا تضيع ... وإنما هى تفتح نافذة للعاطفة تتنفس منها .
والضحكة المريرة تفك ضائقة الروح .
والآهة تفرج عن القلب .
ومع هذه الدموع والضحكات والآهات تعيش صفحات هذا الكتاب .

إنها رسائل مختارة من مئات الاعترافات التى وصلت إلىّ من قراء عديدين ... تعذبوا ... وسهروا ... وتأملوا ... وسخروا من الدنيا ومن أنفسهم .

وبعضها طرائف تثير الاستغراب .
وبعضها بلايا تثير الضحك .

وبعضها آلام تبعث على البكاء .

ولكن كلها صادقة ... واقعية ... فيها الأرض ... بأوشابها وترابها وجواهرها الدفينة ...

مصطفى محمود

١

مثقفة

كان حلمى دائمًا أن أتزوج من مثقفة جامعية .. تفهمنى وأفهمها . وتشاركنى كفاحى ، وتقف إلى جوارى فى معركة الحياة ..

وقد تحقق هذا الحلم .. للأسف ..

ووجدت إلى جوارى امرأة من نوع غريب .. امرأة قضت أربع سنوات فى كلية الآداب لتتعلم فنًّا واحدًا .. وهو فن الانتصار على الرجل .

إنها تتكلم فى لباقة .. وتلبس شيك .. وتلعب الجولف .. وتعزف على البيانو .. وتقرأ الكتب .. ولا يعجبها شىء فى الدنيا ..

إذا سألتها أين تذهب ومتى تعود مطت شفتيها وعاتبتنى لأنى لا أثق بها ..

إذا منحتها ثقتى عاتبتنى لأنى لا أغار عليها كما يجب ، فإذا اشتعلت حبًّا وغيرة .. قالت لى : لنكن أصدقاء .. إن خير الزواج ما قام على الصداقة .. فإذا أعطيتها الصداقة أشعرتنى بأهمية الجنس ... فإذا وجهت همى إلى الجنس .. قالت لى : أوه .. أنت همجى .

كنا فى الصعيد ؛ وظلت تشكو حتى انتقلنا إلى القاهرة .. وهى الآن تشكو .. لأنها تريد السفر إلى أمريكا ..

إنها تعسة دائمًا .. طموح لدرجة المرض .. تطلب كل شىء لمجرد أنها تحمل « دبلوم » قسم إنجليزى من كلية الآداب ، وتعمل نصف يوم كما يعمل الرجل .. ومع هذا فهى أول كل شهر تتحول فجأة إلى بنت بيت وتنتظر الإنفاق عليها ..

بيتنا فوضى .. به طباخ وخادمة .. بالإضافة إلى أمى التى تعمل كخادمة ودادة للأطفال .. وأمى الآن عجوز بلغت السن التى يجب فيها أن تستريح .. ومع هذا أجد أحيانًا مناظر أتألم لها من قلبى .. أجد أمى وعلى حجرها طفلان .. والمدام ممدّدة على الفراش بعد عودتها من الشغل ، وفى يدها جريدة فرنسية .

لقد بدأت أعتقد أن زوجتى شقية معذبة .

إنها لا تعرف ماذا تفعل بنفسها أو بثقافتها أو .. بى . وهى أيضًا لا تعرف معنى الثقافة . ولكن ماذنبى أنا ؟ وماالحل ؟..

• • •

إن ذنبك هو ذنب ملايين الرجال والنساء .. وذنب الجيل التعس الذى يتغير بسرعة ويتلقى الهزة العنيفة التى تتلقاها عربات الترام حينما تندفع القاطرة فجأة بدون تدرج إلى الأمام ..

المرأة العصرية أمام وهج الثقافة والحرية الفجائية .. أصبحت مهزوزة موزعة الرغبة لا تعرف ماذا تريد .. ولهذا تندفع فى عدة طرق فى وقت واحد ..

إنها تريد السفر والتجول حول العالم .. وتريد الحب .. وتريد الجنس .. وتريد المغامرة .. لمجرد المغامرة .. وتكفر بالقديم لمجرد أنه قديم . وتهلل للجديد لمجرد أنه جديد .. وتطلب ألف شىء ولا تقدم فى مقابله شيئًا واحدًا ..

إن إحساسها بحقوقها أكثر من إحساسها بواجباتها . إحساسها بحريتها أكثر من إحساسها بمسئوليتها . لأنها تمر بتجربة جديدة ..

إنها تخرج لأول مرة من القفص .. فلا تفكر فى شىء إلا فى التصفيق

بجناحيها والطيران فى الجهات الأربع ..

والحل هو الصدام .. ليس هناك مفر من الصدام بينكما .. عامل زوجتك المثقفة على أنها غير مثقفة .. وعلمها بالشدة والحزم إن معنى الثقافة هو المسئولية ..

٢

أحبه جدًا

حينما أبدأ أروى قصة حياتى .. لا أجد تلك الذكريات السعيدة التى تعود أن يرويها الناس عن طفولتهم ..

وكل ما أذكره خيالات حزينة ..

أبى الذى يضيع أمواله فى الخمر والقمار . وأمى التى تكدح لتوفر لنا الطعام ..

وحياتى فى المدرسة الداخلية..

والحماقات .. والسقطات الصغيرة .. وروايات الحب .. والكتب اللعينة الخليعة ..

وكل ما يمكن أن يحدث لفتاة جميلة جدًا .. وفقيرة جدًا . ولكن شكرًا لذكائى فى النهاية .. لقد استطعت أن أحصل على زوج عجوز ظريف واسع الثراء ..

لا تلمنى ..

كان لابد أن أفعل شيئًا لأعيد لأسرتى مركزها .. ولأعيش وأولد من جديد .. وأرى الدنيا .. وأحب .. نعم أحب ..

إن عزائى الوحيد فى الحضن العجوز الذى كان يضمنى كل ليلة أنى كنت أحب .. وأن الكهول لا يعيشون طويلا .. وأن حريتى سوف تعود إلىّ مرة أخرى .. وأتزوج من جديد الرجل الذى أحبه .. ولم تخيب الأيام رجائى .. فقد

مات زوجى .. ولكن حريتى التى كنت أتلهف عليها كانت حملا ثقيلا على أعصابى .. وما لبثت أن تحولت إلى محنة .. فقد ظهرت عقبة كئود حالت بينى وبين الاستسلام إلى الحضن الحبيب الذى طالما انتظرته وحلمت به ..

لا تسخر منى .

إنه عجوز آخر ظريف واسع الثراء .. عرض علىّ الزواج .

لا تقل إنى مادية .. فأنا أحب حبيبى وأبكى من أجله ولا أنام .. ولكنى أعود فأذكر حياتى الأولى الحزينة .. التى قتلها الفقر وأتعذب وأبكى .. وأتردد بين حبى والعجوز الجديد الذى يغازلنى بثروته ..

ماذا أفعل ؟..

دلنى على طريق السعادة ..

* * *

إنك تبكين من أجل أشياء لا تشعرين بها على الإطلاق .. أنت لا تحبين حبيبك ..

إن مجرد ظهور منافس كهل واسع الثراء يجعلك ترجفين من الحيرة .. والهلع .. الهلع على الثروة الجديدة التى قد تضيع باستسلامك لحبك .

إنك تشبهين التاجر الذى يريد أن يجمع إلى سمعة التاجر الناجح .. سمعة الإنسان الرقيق الإحساس .. وهو يشنق الناس من أجل أن تنجح تجارته .. ويبكى من أجل أن يصدقوا أنه طيب القلب ..

إن زواجك من الشاب لن يسعدك ..

إن مطلبك الوحيد من الدنيا هو مزيد من الغنى .. ومزيد من العجائز .

إن قلب الإنسان ينقصك .. حتى لو بكيت إلى آخر العمر ..

إن الحب عندك مجرد حماقات وسقطات صغيرة يجب ألا يستسلم لها العقلاء أمثالك ويضحون فى سبيلها بثرواتهم ..

سوف تتزوجين شبانًا !! ولكن ليس الآن .. وإنما عندما تبلغين السبعين !! ويصبح هذا اللون من الزواج هو أروج تجاراتك !!

٣

رد مقنع

هى مدرسة .. وأنا مدرس ..

تبادلنا حبًا عميقًا جارفًا .. وتعاهدنا على الزواج .. وبدأنا نحلم بعشنا السعيد .. ونفكر فى ميزانية عامنا الأول ..

هى تتقاضى ٤٥ جنيها .. وأنا ٤٥ .. أى أن إيرادنا تسعون جنيها فى الشهر .. ندير بها بيتًا أنيقًا .. وننفق منها على طفل ..

وبدأنا نكتب أحلامنا .. أرقامًا على الورق ..

نفقات الأكل .. والشرب .. والثياب .. والمواصلات .. والخادم .. والبواب .. والسينما .. والمصيف ..

وتبخرت الجنيهات التسعون .. ومازلنا نكتب .. ونكتب ..

وكان من الواضح أن أحلامنا أكثر من إيرادنا .. وأننا أفقر من أن نبنى العش الأنيق الذى رسمناه فى أذهاننا ..

وبدأنا نفكر ..

قلت لها :

– سوف أسافر إلى السعودية .. وأقضى عامًا فى جدة .. أعود بعده وقد وفرت مبلغًا كبيرًا .. فنتزوج ونبدأ حياتنا ..

ووافقت بعد تردد .. وهى تضغط على يدى فى امتنان وتبادلنا قبلة طويلة .

وذهبت إلى السعودية .. وبدأت أحترق وحدى .. لا من نار جدة .. ولكن

من نار فراقها .. وبدأت أرسل لها خطابات طويلة .. وأقول لها إنى أكتشف أن الحياة ليست ميزانية ولا أرقامًا . وأن الفرق بين التسعين والألف ليس هو الشيء الذى يسعد ، وإنما الشيء الذى يسعد هو قلبان متحابان يعطف كل منهما على الآخر.. وأننا نستطيع أن نعيش سعداء بجنيهاتنا التسعين.

وكانت ترسل لى قائلة : إنها اكتشفت هذه الحقيقة هى الأخرى ، وأنها غيرت رأيها ..

وكانت خطاباتنا تفيض حنانًا ورقة ..

وحينما عادت .. كنت أريد أن أراها .. وقد تغيرت إلى امرأة جديدة .. تنظر إلى الحب كما أنظر إليه .. على أنه مرتب إضافى وكسب أغلى من الذهب ..

وقد وجدت أنها قد اقتنعت .. اقتنعت جدًا ، وأخذت بهذا الرأى الوجيه .. فتزوجت من زميلى المدرس الذى يتقاضى ٣٥ جنيهًا فقط ..

لقد نجحت كمدرس .. وفشلت كحبيب .. ابك من أجلى !..

* * *

- هناك فئة من الناس تتقن فن الشرح .. ولكنها لا تتقن فن الشعور.. وهؤلاء خلقوا مدرسين بالفطرة .. وأنت من هؤلاء ..

لقد استطعت أن تعطل كل إحساساتها .. وتمسك لها بالورقة والقلم وتشطب على إيرادها وإيرادك .. وعلى العش الأنيق الذى بنيتماه .. فى أحلامكما .. وقلت .. نحن فى حاجة إلى مزيد من الجنيهات .. وكنت مقنعًا لدرجة أنها أطلقتك من يدها وهى تحبك لتغيب فى حر السعودية .. تجمع لها رحيق الذهب من الحقول ..

وحينما قضيت سنة تحت شمس جدة ، وأفقت على حقيقة جديدة ..

كنت غاية فى الإقناع فى تقديم هذه الحقيقة وشرحها .

وبلغ من نجاحك أنها عملت بوصيتك بحذافيرها قبل أن تغلق الخطاب !

فتزوجت من زميلك الفقير الذى لا يتقاضى سوى ٣٥ جنيهًا ..

لقد كنت فنانًا فى تحريك عقلها .. ولكنك لم تحرك قلبها قط ..

إنها لم تحبك بالقدر الكافى فى يوم من الأيام .. لقد كانت تحترمك فقط .. وتستمع إليك كالتلميذة النجيبة ..

إن الحب لا يحركه مهندس يمسك بالمسطرة والبرجل ويرصد الأرقام فى ورقة ..

ولكن يحركه شاعر رفيق مجنون ، يلعب على القلب ..

النساء - حتى المدرسات منهن - يعشقن الشعراء والمجانين !

٤

نافذة على الجنة

أكتب إليك من فراشي .. وأنا راقدة مشلولة ..

خمس سنوات تمر أمامي الآن منذ اليوم الذى رقدت فيه وأنا أهذى بالحمى ، وقال الطبيب إنى مصابة بشلل الأطفال .. إلى اليوم . وأنا أكتب لك فى منتصف الليل .. وكل عصب من أعصابى يرتجف .

إنك تستطيع أن تتخيل نفسية فتاة فى الخامسة عشرة .. مشلولة مدقوقة فى فراشها بمسمار .. لا تملك من النشاط إلا مربعًا مساحته متر فى متر .. تحرك فيه ذراعيها ..

إن بعض أنواع الألم لا يمكن أن توصف فى كلمات .. بعض أنواع الألم خرساء ، وحياتى كانت كلها خرساء ..

كان الشىء الوحيد المطلق السراح فى حياتى هو خيالى .. كنت ألوذ بالخيال .. لأحب وأكره وأتزوج وأنجب أطفالا .. وأبنى قصورًا فى الهواء وأسافر إلى أقصى الأرض .. ثم أفتح عينى فى النهاية على حياتى الصغيرة المشلولة .. وأبكى فى صمت ..

هذا العالم الوهمى هو كل ما أملك من سعادة .. حتى ذلك المساء البعيد منذ ثلاثة أشهر ..

ودعنى أصف لك هذا المساء الذى غير حياتى كلها ..

لم يكن فى المنزل أحد سواى أنا والدادة .. وكنت أقرأ كتابًا .. وأسرح بضع

ساعات بين صفحة وأخرى .. حينما دق جرس التليفون .. وأحضرت الدادة التليفون إلى جوارى .. ورفعت السماعة وضعتها على أذنى .. وسمعت رجلا يسأل عن عبد الحميد بك .. فقلت له : إن النمرة خطأ .. فاعتذر وتردد .. ثم قال أليست النمرة كذا وكذا .. فقلت له : لا .. إن هناك فرقًا فى أحد الأرقام ، فضحك قائلا : هكذا الحياة .. فرق رقم واحد فيها يغير من مصير إنسان .. وبدأنا نتبادل حديث المصادفة واسترسلنا فى الحديث . وختم كلامه قائلا : إننى رقيقة . وإنه يسره أن يتمكن من محادثتى بين حين وآخر ..

ووضعت السماعة .. وظللت أنظر إليها برهة وكأنى أنظر إلى نافذة واسعة تفتح أمامى على مشرق شمس ..

ومنذ ذلك اليوم بدأت بيننا علاقة من نوع غريب .. علاقة تشبه الأحلام التى أحلمها .. فيها شبح لا أعرفه .. يحادثنى ويقول لى : أحبك ..

ولكن الشبح كان له هذه المرة وجود فى أرض الواقع .. لأنه مالبث أن قال لى : هل تصفين نفسك ؟

ووصفت له وجهى بدقة .. وسمعته يقول : ما أجملك !

ووصفت له ذراعى ويدى الرقيقتين .. وسمعته يهلل إعجابًا ويقول فى عاطفة : لو كان ساقاك فى جمال ذراعيك فإنك تكونين فاتنة كالدمية ..

وهنا أحسست بالسماعة ترتجف فى يدى .. ونظرت إلى ساق الممددتين كعمودين من خشب ، وظللت صامتة برهة قبل أن ألقى بالسماعة فى مكانها ..

وفى تلك الليلة ظللت متيقظة حتى الصباح ..

هل أحبه ؟

نعم .. بل إنه أكثر من حب .. إنه حياة .

لقد زاد وزنى فى هذه الأشهر الثلاثة خمسة كيلوجرامات .. وتورد خداى .. وقال الطبيب حينما كشف على ساق إن بعض الألياف العضلية بدأت تعمل وإنه مندهش كيف بدأ التحسن بعد هذا الوقت الطويل ..

إنه حياتى إذن ..

وهى حياة يتهددها الضياع .. فهو يريد أن يرانى ..

ولو رآنى فسوف أخسره وأخسر نفسى إلى الأبد ..

إنى معذبة تعيسة ..

كيف أهرب منه ومن نفسى ؟

ماذا أفعل ؟

* * *

إنى أشعر بعذابك .. وحيرتك .. وأحس بأنى أمام دراما إغريقية من درامات المصير .. لا مجرد مداعبة تليفونية .. دراما أكبر من عقلى .. أما رأيى فهو أن تستمر هذه العلاقة فى شكلها التليفونى .. ويؤجل اللقاء بينكما حتى يتم شفاؤك .

وفى إمكانك أن تكونى شهرزاد التى تحكى لشهريار كل ليلة قصة .. وتشغله ليلة بعد ليلة حتى تكسب قلبه بعد ألف ليلة وليلة .

٥

أكل مسلوق

أنا شاب فى الثلاثين .. محافظ بحكم تربيتى .. ولكن عملى يحتم على الاحتكاك بالراقصات والممثلات والفنانات من كل لون .

عشت أتنقل بين الكباريهات والاستديوهات والمسارح كمهندس ديكور .. لا تلتقى عيناى إلا بنوع واحد من النساء .. الأرتيست ..

وكنت دائمًا أتجنب هذا النوع وأخشاه ..

كنت أعاشره وأنا فى عزلة عنه .. وأنظر إليه تمامًا كما ينظر إليه متفرج الشاشة فى فضول ، أنجذب إليه وأرهبه ..

إن الراقصة خلف الكواليس .. والممثلة خلف البلاتوه .. والمطربة فى البروفة .. والفنانة بين يدى الماكير وهى تتحرك بدون تكلف .. وتتحدث فى جرأة وصراحة .. وأحيانًا فى وقاحة .. وترسل نظراتها فى إهمال إلى من حولها .. وتغازل .. وتداعب وترفع صوتها بالغناء فجأة .. وتبكى بدون سبب .. وتضحك فى هستيريا .. وتشتم زميلها أو تقرصه فى خده .. أو تلف ذراعها حول عنقه . تحرك المشاعر أكثر مما تفعل على الشاشة . لأنها تمثل طبيعتها .

الفن خلف الستار يكون عريانًا .. والحياة تكون عريانة والأعصاب تكون عريانة ..

وجوه البطلات آخر الليل وقد اختلطت فيها المساحيق بالعرق .. عيونهن وقد امتزج فيها التعب والقلق واليأس بالرغبة ، وانطفأ فيها بريق المجد والغرور

تبدو إنسانية .. ضعيفة .. غارقة فى التعاسة ..

والكلمات القليلة التى يتبادلنها فى دقائق الراحة .. تغوص فى القلب ولا تنسى .

هذا الجو المغناطيسى .. ظل يدير رأسى سنة بعد سنة حتى فقدت عقلى فى لحظة ووجدت نفسى أحب .

وأحب من ؟

واحدة من هذا الجو الذى عشت طول عمرى أخافه وأتجنبه

وكان حبًّا ملتهبا .. ضعت فيه بضعة أشهر .. أو بضع سنوات .. لا أدرى .. ثم أفقت فجأة لأجد صاحبتى تفعل أى شىء مع أى شخص .. وفى أى وقت . امرأة متحللة تمامًا .. متحللة من كل خلق ومن كل مبدأ .. ومن كل قانون .. تفعل ما يعجبها مع من يعجبها حينما يعجبها .. بصرف النظر عن أى اعتبار .. وتسمى أى شىء تفعله حبًّا .

وحاولت أن أنساها .

ومرت سنوات .. تعذبت فيها عذابًا فاق احتمالى ..

والآن تحاول أمى أن تبنى لى حياتى من جديد .. فتخطب لى بنتًا من عائلة طيبة لتكون زوجة صالحة .. ولكن أشعر أنى تغيرت كثيرًا .. فأنا بعد أن تذوقت هذا النوع الملتهب من النساء .. أصبحت أحس بأن بنات البيوت باردات لا حياة فيهن ولا طعم .. جمالهن خال من الملح .. مثل الأكل المسلوق .. صحى ولكنه لا يحرك الشهوة ..

أنا حائر .. لم يعد يعجبنى أحد ..

ماذا أفعل ؟.. أنصحنى .. فأنا لا أستطيع أن أتزوج المرأة التى أحببتها لأنها

بلا أخلاق .. ولا أستطيع أن أحب المرأة التى سوف أتزوجها لأنى لا أحس فيها جمالا !..

* * *

أنا لا أستطيع أن أتصور الجمال بدون سجايا ، لا أستطيع أن أتصور رؤيتك للجمال فى امرأة متحللة من كل خلق ومن كل مبدأ ومن كل قانون .. المرأة التى تفعل ما يعجبها مع من يعجبها .

إن الجمال ليس كلمة .. وليس شكلا .. وليس حركة رشيقة .

إن الجمال فى تعبير هذه الأشياء كلها عن شعور حقيق صادق ..

إن الجمال فى توظيف الانسانية لمواهبها توظيفًا جميلا ..

أنا لا يمكننى أن أحس بالجمال فى امرأة تكذب مهما كانت باهرة وذكية ..

إنّ إحساسى بالكذب يقززنى ويجعل الجمال يبدو أمامى مثل الطلاء ..

إن بنت البيت البكر ليست مثل الأكل المسلوق أبدًا .. إن بكارتها وبساطتها وعاطفتها الطليقة المباشرة جمال حقيق ..

إن ذوقك مريض ..

أنت فى حاجة إلى سنة أخرى لتنسى وتغسل قلبك وعقلك من آثار الماضى !

٦

حصان البلدية

كانت القاهرة تضج بالعيد .. والشوارع تشبه فستانًا مزركشًا من ألف قطعة .. والأطفال يرقصون كالأعلام الصغيرة الملونة .. والدنيا فى زفة .. وأنا وحدى ..

لم تكن لى عائلة أجتمع بها على مائدة الفطور لنتبادل التهانى ، ولم يكن لى أطفال أودعهم بقبلة على الباب .. لقد مات الأب والأم ، وحملت وحدى أربعين عامًا فى طريق الحياة ..

لم أفكر فى الزواج .. كان غرور الشباب يملؤنى .. فأردت أن أظل حلمًا لكل بيت .. وأعيش حياتى فى بوهيمية متصلة ..

ومرت السنون خفيفة كالريح ..

كنت أبدل عشيقاتى .. كما أبدل أثوابى .. وكما أبدل زجاجات النبيذ الفارغة فى البار الأمريكانى الذى أحتفظ به فى شقتى ..

ثم أفقت ذات ليلة .. لأكتشف أن المشيب يزحف على رأسى ، ولأشاهد حلقات زرقاء تحت عينى . وغضونًا رقيقة حول فمى ..

وقال الطبيب إن ضغط دمى مرتفع .. وكتب لى قائمة طعام لا أتجاوزها .. وحرم على شرب الخمر .. والسهر ..

وبدأت أستيقظ فى الصباح لأغلى الينسون واللبن .. وتلفتُّ حولى لأجد أن السامر قد انفض !

لم أعد الفارس القديم الذى يتسابق إليه المتراهنون .. وإنما أصبحت الحصان العجوز الذى باعه أصحابه إلى البلدية ..

لقد انتهيت ..

ألقى النساء نواتى فى البالوعة بعد أن أكلوا فاكهتى الغضة !

انتهى الشاطر حسن .

ولم يكن شاطرًا بالمرة .. كان هو أيضا إحدى الزجاجات التى فرغت فى البار واستبدل بها بارمان الحب زجاجة جديدة ..

واليوم .. حينما سمعت أن البلد فى عيد .. خرجت أتمشى فى الطرقات .. ولم أملك نفسى من البكاء ..

كان الناس كأسراب الحمام .. فى جماعات .. وشلل .. وأسر .. وكنت وحدى .. لا أب .. ولا ولد .. ولا زوجة ..

كنت كالفرع الجاف الذى يوشك أن يسقط .

وشربت فى شراهة .. ودخنت فى شراهة .. وأنا جالس على مائدة وحيدة .. فى بار منعزل .

كنت كبطل خرافى من أبطال قصص الرومانس .. ينتحر فى هدوء .

وحينما حملونى إلى البيت آخر الليل .. كنت أحس أنى إمبراطور مخلوع فى المنفى ..

وبدأت أفكر والخمر مازالت فى رأسى ..

يجب أن أتزوج .. نعم يجب أن أتزوج .. وكانت الخمر تعطينى القوة ..

وكانت الحبيبة الوحيدة التى تبقت لى هى أسوأ عشيقاتى شكلا وموضوعًا ..

ولكننا لا نختار حينما نصل إلى البدروم .. أليس كذلك ؟

وليس أمام شمشون بعد أن حلقوا له رأسه إلا أن يختار أى دليلة يلقاها فى الطريق ..

لطالما كنت أرفض الزيجات التى كانت تعرضها علىّ أمى .. والآن ، الكل يرفضنى ..

ليس أمامى إلا هذه النواة اليتيمة التى لفظها الناس تحت موائدهم . فأنا أيضًا نواة أخرى .. فى البالوعة ..

وربما كان زواجنا هو طوق النجاة الأخير .. ألا ترى هذا ؟ أم أنى مازلت مخمورًا ؟!

• • •

لا ، لست مخمورا ..

بل أنت فى صحوة .. صحوة التجربة المرة .. والحكمة التى أضعت عمرك ثمنًا لها .

إنى أفهمك جيدًا ياسيدى .. ولا أجد ما أضيفه .

أنت كالأفاق الذى ظل طول عمره يرتحل من بلد إلى بلد على قدميه ، وحينما أدركه الإعياء وبدأ يلهث .. تلفت حوله فلم يجد إلا دكة قديمة تخلعت أرجلها ..

نم أيها الحصان العجوز .. ليس أمامك بعد سباقات هليوبوليس .. إلا عربة الرش ..

تزوج .. وادفع الثمن إلى النهاية .. كمقامر شريف !

٧

برافو

أنا فتاة فى العشرين ، على درجة قليلة من التعليم أهلتنى لأن أعمل خادمة عند باشا سابق .. ولعلك لمست هذه من رداءة خطى وأسلوبى ، ولكنى أعتمد عليك فى إعادة كتابة هذه الرسالة المفككة . ليستطيع أن يفهمها القراء ..

منذ سنة .. ولأختصر لك فى القصة .. كنت ألحظ انشغال سيدتى الصغيرة وعكوفها على التليفون بالساعات تتحدث وتبكى كل ليلة بعد أن ينام البيت كله ..

واستطعت أن أعرف الحبيب المجهول .. وأن أعرف رقم تليفونه .. كان رجلا متزوجًا من أولاد الذوات الذين يترددون على النوادى .. ويتحدثون بلغة فرنسية مكسرة ..

وكنت أشعر بغيظ ، لا أدرى سببه بالضبط ، من هذه العلاقة ..

كنت أرى سيدتى تذوب وجدًا .. وقد تشتمنى .. أو تضربنى إذا قطعت عليها حديثها التليفونى .. ثم أسمعها تقول فى التليفون معتذرة .. دى البنت الخدامة المقصوفة الرقبة ، خلاص كرشتها ..

كنت أخرج أجرر قدمى فى ذل .. وقد تملكنى إحساس بأنى لست آدمية ..

وفى إحدى الليالى وكنت وحدى .. انتابتنى فكرة شريرة ، وأمسكت بالتليفون وأدرت الرقم .. فرد علىّ صوت رقيق هو صوت صاحبنا .. فأجبته فى نبرة أرستقراطية بأنى فتاة لا يعرفها تشاهده كل يوم فى النادى وتذوب فيه حبًا ..

فأجابنى وقد أصبح صوته لزجًا معسولا .. أهلا .. أهلا .. ياقورة .. أنا عارفك انتى الوردة الحلوة التى بتقف عند الباب وتطلب شمبانيا كل ليلة ..

قلت له لا .. إه ده .. أنا وحشه كده .. دانت ماتعرفنيش خالص ..

وازداد صوته لزوجة وهو يقول كأنه يترنم : يبقى لازم أشوفك ..

وتكررت المحادثات .. ورفضت أن ألقاه فى كل مرة .. وقلت له إن بابا شديد جدًا .. وإنه مرة ضرب فلاحًا بالرصاص فى العزبة لأنه بص لى وأنا ماشية ..

وتحولت مكالماته إلى توسلات وضراعة .. هو يبكى ليلقانى .. وأنا أحكى له عن بابا اللى بيضرب فلاحين العزبة بالكرابيج ...

وبعد عذاب شهرين .. وعدته على لقاء فى جروبى .. وقلت له إنى سأدخل فى الساعة السادسة بالضبط وسأكون لابسه فستانًا رماديًا ..

وفى الساعة السادسة والنصف كنت أدخل بفستان أحمر لأراه ملطوعًا على كرسى وبصره زائغ مثل الكلب !

وشعرت بسرور خبيث وأنا أتأمله فى أناقته ولهفته وخيبته ..

وحادثته بعد هذا وأنا أبكى ، واعتذرت له لأن بابا جاء من الصعيد فجأة وأخذنى إلى العزبة ولم أستطع الحضور فى الميعاد.

وعذبته شهرين آخرين ، ثم أعطيته ميعادًا ثانيًا فى « لاباس » واستعرضته وهو ملطوع كالتلميذ العبيط ..

ومازالت المهزلة مستمرة إلى الآن .. وأعترف لك أنى أصبحت ألتذ كثيرًا من رؤية سيدتى وهى تتحدث إليه فى التليفون وتبكى .. وألتذ منها وهى تشتمنى وتكرشنى .. وأخرج وأنا أتقصع وأغنى.

وألتذ أكثر وأنا أجر سيدى الأفندى من بيته وألطعه فى الشارع وأنا أتمشكح أمامه .. ولا أنا هنا ..

مارأيك ؟.. ألا يستحق كلاهما هذه المعاملة ؟.. أم أنى بنت سيئة ؟!

• • •

هذا نوع دلوع مودرن من صراع الطبقات .. ومعاملة جديدة مبتكرة تفكر فيها بنت من الطبقة العاملة لتعامل بها الطبقة الصايعة.

أعتقد أنهما يستحقان ..

براقو .. وحذار أن تقرأ ستك الكتاب . وإلا فسوف تصبحين فى الشارع تانى يوم ..

٨

فى حضن الموت

سيدى ..

اليوم هو اليوم العاشر من شهر عسلى .. وهو أيضًا بداية العام السبعين من عمرى ..

لقد تزوجت دجاجة صغيرة فى سن ابنتى ومنحتها ثروتى ومركزى اللامع كمأمور ضبط قديم .. وكانت حياتنا طوال الأيام – أيام العسل الأولى – سلسلة من المتع ..

إذ أشرق الصبح تيقظت عروسى كالعصفورة لتدلك مفاصلى ، وتجهز القرفة وتضع قدمى فى حمام من الماء والملح .. ثم تفتح عينى وتضع لى نقطتين من قطرة الزنك .. وتفتح أنفى وتضع نقطتين من الإفدرين ، ثم تضع الكوبرى الذهب فى فمى ، وتدهن ظهرى بالمرهم ، وتلف وسطى بالصوف .. وتسقينى ملعقة من ملح الفواكه وملعقة من الصودا الفوارة ونقطًا فاتحة للشهوة .. وتربت على جبهتى وتسوى الشعرة الوحيدة الباقية فى رأسى .. وتقول لى .. تيقظ .. بابيه .. لقد نمت طول الليل .. فأستيقظ وأمسح على رأسى ، وأتناول يدها أقبلها ..

– نانا .. ياحبيبتى .. إن هذه أول ليلة أنامها بدون منوم . وهذا بفضلك ياغزالى !

نعم .. فقد أصبحت أنام .. بدون أقراص .. وبدون حقن .. أصبحت أنام فى الليل وفى النهار وعلى الفطور والغذاء والعشاء .. وفى البلكون والترام

والشارع .. وزاد وزنى إلى الضعف .

إن الزواج نعمة .. يجب أن يتزوج كل الناس .. ويجب أن يتزوج أبى الأعمى أيضًا .. فالعزوبة لعنة ..

كان هذا رأيى منذ أيام .. ولكن كل شىء الآن قد تغير .. منذ زيارة أمى وأقاربى ..

لم تكن أمى كالعجائز تحمل إلى ابنها العريس زجاجات العطر والشربات ورءوس السكر ، وإنما جلبت لى .. صفًا من زجاجات الكينا والزرنيخ والحديد والمر .. وكمية من مسحوق العرقسوس وحبوب القرطم ، وأهدى إلىَّ عمى حقنة شرجية وحزامًا للفتق .. ونظارة سميكة أقرأ بها الجرائد .. وأهدى إلىَّ خالى مصحفًا وحجابًا وعكازًا ومنشة ..

أى غرابة فى هذا ؟!

أتظن أن هذا سبب يكفى لأن تتشاجر عروسى .. وأن تصرخ .. وتشد شعرها .. ثم تغادر البيت ولا تعود ؟

أتظن أن هذا سبب يكفى لأن تهرب مع شاب صعلوك فى سن أولادى ؟

هل هذه هى الفضيلة ؟!

* * *

سيدى صاحب الفضيلة ..

لقد ظلت عروسك تنام طوال الأيام العشرة من شهر العسل .. فى القرافة .. إلى جوار جثتك .. تنقعها كل يوم فى الماء والملح .. ولكن هذا لم يبعث فيك الحياة .. وإنما زاد نومك الأبدى عمقًا .. فكان من الطبيعى أن تلق بنفسها فى

البحر ، أو فى كباريه ، أو فى أحضان شيطان ..

تستطيع أن تتجرع الزرنيخ والحديد .. وتشد حزام الفتق على رقبتك .. وتفعل أى شىء يحلو لك .. ولكن الغلطة غلطتك ياصاحبى فقد نسيت أن الحياة لا تنام فى أحضان الموت أبدًا .

٩

كتكوتة ماما ..

أنا فتاة من عائلة كبيرة .. غنية ..

تعودت من صغرى أن أعيش حرة .. وأفعل ما يحلو لى ..

كنت آخر العنقود .. ودلوعة العيلة .. وحينما كانت أمى تقسو علىَّ بكلمة . كنت أبكى وأمعن فى البكاء ولا أكف عن العويل حتى تجىء مسرعة وتطبطب على وتقبل يدى .. ومعلهش ياروح ماما ياقلب ماما .. ياعنين ماما .. يا كتكوتة ماما ..

وقد كنت كتكوتة فعلا .. الكل يطعمنى .. ويدللنى ويهشكنى .. وأنا أغنى وأرقص .. وأملأ البيت بالزيطة والصراخ وأنفق ما فى يدى من نقود لأحصل على غيرها .. وأحطم ما أشاء من اللعب لأحصل على غيرها ..

وكنت أحيانًا أبكى لمجرد البكاء .. من الملل .

وأنا الآن سيدة فى العشرين تزوجت من سنتين ولكنى تعيسة فى زواجى .. زوجى يحبنى .. يعبدنى .. ويعطينى ما أريده وأكثر .. ولكنى تعيسة .. أنفق مرتب الشهر فى عشرة أيام ثم أبكى لأحصل على مزيد من النقود .. وأتجول بين فاترينات عماد الدين ، فيسيل لعابى على الفساتين والفوريرات .. فإذا حصلت على واحد منها فقدت اهتمامى به ، وبدأت أجرى وراء فستان آخر ..

أشعر أحيانًا بالملل من كل شىء .. ومن زوجى ، فأغدو عصبية لا أطيق

زوجي يقول لى دائمًا . إنى أهمله .. ولكنى مسكينة .. إنى أنا التى أستحق العطف ..

إنى أعلم أنك سوف تشتمنى .. ولكن أرجوك .. حاول أن تفهمنى ..

لا تكن مثل زوجى ..

إن أهلى يقولون إنى زوجة سيئة .. كلهم يضعون الذنب على رأسى ..

لا أحد يفهمنى .. حتى هو .. زوجى .. يثور علىّ هو الآخر ..

كنت أتوقع منه هو على الأقل وهو الذى يعاشرنى ويعرف رقة أعصابى وتلفها .. أن يعطف علىّ ويفهمنى .. ولكنه لا يريد أن يفهمنى ..

إنى أتعذب .. حتى العطف لا أجده ..

لقد تعودت أن تجاب لى كل مطالبى .. وأن أعيش حرة .. بلا مسئوليات ..

قد يكون هذا شيئًا رديئًا .. ولكنى نشأت على هذه الرداءة ، وأصبحت لا أطيق أن أحرم شيئًا ..

أعصابى تثور إذا حيل بينى وبين أى شىء حتى ولو كان هذا الشىء نزوة تافهة ..

لا تقل إنى امرأة سيئة .. حاول أن تفهمنى أرجوك ..

* * *

أنت تطالبين بحق جديد لم ينزل بعد فى أى دستور من الدساتير .. تطالبين بحق ارتكاب الخطأ ..

تريدين أن يكون إهمالك لزوجك وإحساسك بالملل نحوه حقوقًا تزاولينها كما

كنت تزاولين تحطيم اللعب فى طفولتك .. وعلى زوجك أن يقابل هذا الإهمال بالعطف عليك .

أعتقد أن هذا سوف يحدث فعلا ..

سوف يحدث لسوء حظك ..

إن زوجك يثور الآن لأنه يحبك ولن يدوم هذا طويلا .

إنه سيظل يثور حتى يتعب من ثورته وحبه ..

والحب كالتنفس والنبض يصيبه اللهاث والتعب إذا أرهق بالمطالب . ثم يتراخى .. ويتحول إلى يأس .. ثم إلى عطف ..

وحينما يبدأ زوجك ينظر إليك كحالة مرضية ميئوس منها ويبدأ يعاملك بعطف يكون قد كف عن حبك فعلا .. ويبدأ يبحث عن حب عند امرأة أخرى ..

وسيكون هذا هو العقاب الذى ينزل بك .. والصدمة التى تفيقك من الترف والدلال والدلع الذى تعيشين فيه ..

إن أحسن علاج لامرأة تقول : أنا مسكينة .. أنا رديئة .. هى أن نكون أردأ منها !.

١٠

الحياة بدون كبت

أنا كما يرانى الناس من الخارج فتاة عادية فى التاسعة عشرة .. مرحة .. منطلقة .. الكثيرون يحسدوننى على انطلاق .. فأنا أبدًا دائمًا ضاحكة عابثة .. ولكن قلبى من الداخل يدمى .. ولا أحد يعلم ما أعانيه ..

أحببت منذ ثلاث سنوات .. وكان حبًا أكبر من عمرى .. وكان هو فى الثلاثين أكبر منى بأربعة عشر عامًا .. وعلمنى كل شىء .. كنت كتابًا مقفولا وموضوعًا على الرف . وجاء هو وفتحه وقرأ كل سطر فيه .. وكل كلمة فيه ..

وكنت سعيدة .. السنة الماضية مثل هذا الوقت كنت أسعد مخلوقة فى الوجود .. فأنا جميلة خفيفة الظل محبوبة من الجميع ، ومن عائلة غنية أستطيع الحصول على جميع طلباتى .. وأهم من هذا كله كان هو بجانبى .. حبيبى ..

كنا شبه مخطوبين أمام الناس وشبه متزوجين أمام أنفسنا وأمام الله ، عرفت معه كل متع الحب .. وكل مسراته .. وقد حرصنا معًا على ألا يتجاوز عبثنا الحدود .. فظللت عذراء .. ولكنه فى آخر لحظة تركنى .. وهجرنى إلى غير رجعة . قال إنه لا يستطيع أن يعصى أمر والدته .. وقد اختارت له والدته ابنة أختها اليتيمة .. وخطبتها له .. وهو لا يستطيع أن يرفض لها طلبًا فهو وحيدها ..

وتعذبت .. ومرضت .. ثلاثة أشهر ..

ثم بدأت أضمد جراحى .. وأقاوم عذابى .. وأرسم الضحكة على شفتى .. وأغتصب الابتسامة .. وبدأت أعود إلى الحياة ..

وعرفت أحد زملائى فى الكلية .. وصاحبته ..

ولم يكن حبًا هذه المرة .. فأنا أعلم أنى لا أحبه .. وأنه لا يحبنى .

ولكنى كنت أبحث عن سلوى ..

ونحن نذهب إلى السينما حيث نقضى الساعات .. لا نرى الفيلم ولا نرى ماحولنا .. وإنما نظل نتبادل القبلات والعناق حتى يضىء النور ..

وفى الشباب .. وفى نشوة السن المراهقة التى نمر بها – نحن الاثنين – يشعر كلانا بأننا نقضى ساعات لذيذة ..

ولكن بعد ذلك .. وبعد أن تمضى هذه الساعات .. يبدأ عذاب الضمير .. وأرانى أصرخ فى نفسى .. إنى ساقطة .. محرمة .. بدون أخلاق .. مذنبة .. مصيرها جهنم .

ولكن أعود فأسأل نفسى . وماذنبنا إذا كانت هذه غرائزنا التى ركبت فينا .. ورغباتنا التى خلقت معنا ..

إنى لو لم أفعل هذه الأشياء .. فسوف أظل مشغولة الذهن طول الوقت أفكر فيها وأتمنى أن أعملها .. وهذا ألعن ..

ماذنبنا إذا كانت هذه طبيعتنا .

وأبكى .. وأصلى .. وأصوم ، ثم أعود إلى فعل هذه الأشياء .. وأنا أسأل نفسى فى حيرة .. ماالفرق بين ما يفعله المتزوجون وغير المتزوجين .. إنها ورقة .. مجرد ورقة ..

كيف تكون رخصة الفضيلة مجرد ورقة ..؟ ولماذا يعتبر الناس تلامس اليدين فى المصافحة عملاً عاديًا لا غبار عليه .. وتلامس الشفاه فى القبلة عملا فاضحًا شائنًا .. أليست كلها أجزاء جسم واحد ..؟!

ومامعنى الفضيلة هنا .. ؟

وكيف يكون تحريم أشياء هي في صميم طبيعتنا .. فضيلة .. ؟

لماذا لا نعيش على الطبيعة . بدون تعقيد .. وبدون كبت .. وبدون تحريم ؟

* * *

قصدك لماذا لا نعيش كالحيوانات فننطلق مع غرائزنا بلا ضابط .. وبلا نظام .. وبلا هدف سوى هاتف اللحظة .. ولذة الساعة !! مستحيل طبعًا .. فهذا معناه أن نتخلى عن إنسانيتنا تمامًا .. ونعود إلى عصر الغابة .

فالآدمية لا تبدأ إلا من هذه اللحظة .. من اللحظة التي يضبط فيها الإنسان رغبته ويكبح جماحه ويلجم شهواته ويتصرف بمقتضى أهداف سامية كالرحمة والإخاء والشجاعة والتضحية والبذل في سبيل الآخرين ، والعمل على إقامة نظام .. والانقطاع للعلم والتحصيل والمعرفة وخدمة الناس .. أما إذا انقلب الوضع وأصبحت لذات الجسد العابرة .. ونزوات الغريزة مفضلة على هذه الأغراض السامية ، فإن الإنسان يفقد إنسانيته وينقلب حيوانًا .. والنظام الاجتماعي كله ينهار من أساسه ..

والزواج ليس مجرد ورقة كما تقولين .. الزواج تنظيم اجتماعي للغرائز حتى يكون لكل ابن يولد أب مسئول عنه .. وحتى لا تتحول العلاقات الجنسية إلى فوضى بلا رابط .. وتختلط الأحساب والأنساب .. ولا يعرف ابن أباه ..

والواقع أن الإنسان حينما يضبط رغبته ويكبح شهوته .. فإنه لا يمكن أن يقال إنه يكبت طبيعته .. فإنه في الحقيقة يخرس صوت الغريزة . ولكنه في الوقت نفسه يطلق صوت العقل .. وهو يشد اللجام على الحيوان الهائج في نفسه ، ولكنه يطلق العنان للوجدان والعاطفة والفكر .

ولا يمكن أن يقال في أمر طبيعتنا إنها مجرد رغبات حيوانية .. فإن العقل أيضًا من طبيعتنا .. والعاطفة والوجدان والروح .. هي صميمنا .. وهي أكثر أصالة في طبيعتنا من نزوة الجنس وصرخة الحيوان الجائع .

أما حكاية تلامس الشفتين في القبلة وتلامس اليدين في المصافحة .. فهي مغالطة واضحة .. ولن أحاول أن أناقشها .. فأنت تعرفين جيدًا الفرق بين ما تفعله القبلة وبين ما تفعله المصافحة .. ومفيش داعي نكذب على بعض ..

أما حكايتك مع صاحبك . فهي حكاية يجب أن تنتهي .. فأنت باعترافك لا تحبيه وهو لا يحبك . فالعلاقة إذن علاقة حيوانية لإشباع نزوات عارضة .. وهي علاقة تخلو من عنصر الصدق .. علاقة يهين كل منكما فيها جسمه .. ويهين نفسه .. وهي لهذا يجب أن تتوقف .. لا بسبب الدين .. ولا خوفًا من جهنم فقط ولكن أيضًا بدافع من الإنسانية ومن احترام كل منكما لجسمه ونفسه .

١١

عريان أفندى

أنا شاب فى العشرين .. مازلت إلى الآن طالبًا بالثانوية العامة .. مظهرى محترم ومؤدب جدًا .. من يعرفنى لأول مرة يقول عنى إنى خجول وطيب ومهذب .. وهذه فى الحقيقة هى المعاملات الظاهرة التى أبدوبها أمام الناس ..

ولكن فى الخفاء حينما أنفرد بنفسى . فى غرفتى ، أتحول إلى شخص آخر تمامًا ..

ما أكاد أجد نفسى وحدى حتى أغلق باب الغرفة وأحكم إغلاقه .. ثم أفتح الشباك المطل على الجيران . وأتجرد من ثيابى ..

وأروح أتمشى فى الغرفة وأنا عريان .. وأشعر بالسرور إذا أحسست أن هناك امرأة تلمحنى حتى ولو كانت خادمة ..

يحدث أحيانًا أن تبصق على المرأة التى ترانى على هذه الحال . وأحيانًا تبتسم ..

وحدث أن أنشأت علاقات بهذه الطريقة .. وهى طبعًا علاقات قذرة مع خادمات ونساء ساقطات ..

والمشكلة أن هذه العادة اللعينة تتحكم فى سلوكى وتستعبدنى تمامًا وتأمرنى فأطيعها وكأنى عبد .. لا أستطيع لها دفعًا .. ومهما لاقيت من احتقار وازدراء واشمئزاز لا أكف عن التمادى فيها ..

والغريب أنى فى وجودى فى مجتمع أتصرف بأدب وخجل شديد وكأنى شخص آخر ..

حدث أن كانت لى علاقات بفتيات محترمات تعرفت بهن فى أماكن عامة .. وكنت أدعوهن إلى نزهة على النيل أو إلى سينما ..

ولكنى كنت دائمًا أخسرهن فى النهاية .. بسبب مسلكى الشاذ فى السينمات .. فى اللحظة التى ينطفئ فيها النور ويسود الظلام .. كان يركبنى ذلك الشيطان .. فأتصرف بدناءة .. وقذارة ... وتكون النهاية ..

وأنا لا أفعل هذه الأشياء بشقاوة .. ولكنى أفعلها وأنا مغلوب على أمرى .. وأنا أشعر بتعاسة لاحد لها ..

أنا مريض .. أنا أعلم أنى مريض ..

وأنا فى دراستى أرسب على الدوام .. وخائب خيبة لا حد لها ، وفى أعماق أحتقر نفسى .. وأشعر أنى ملوث .. ولكن ماذا أفعل ..

هل هناك حل لرجل مثلى ..

* * *

حالتك يسميها فرويد « عقدة الاستعراض » ..

وفرويد يقول إننا كلنا ونحن أطفال نحب أن نتعرى ونخبط على جسمنا العارى ونلهو به .. ولكن هذه الرغبة تتطور إلى الحالة الطبيعية السوية عند البلوغ ، فلا نعود نلتمس لذتنا بهذا الأسلوب الطفلى .. وإنما نتجه إلى الجنس الآخر بالغريزة الطبيعية التى توجهنا إلى الحب والزواج .

ولكن الجمود عند المرحلة الطفلية قد يحدث لسبب أو لآخر بسبب ظرف تربوى شاذ أو حادث أثناء الطفولة .. فتنشأ عقدة الاستعراض .. وتستمر هذه الرغبة الشاذة فى العرى فى سنوات البلوغ وبعده ..

والعلاج فى هذه الحالة يحتاج إلى تحليل نفسانى وإلى استكشاف سنوات الطفولة الأولى وما حدث فيها عن طريق الأحلام .. والتذكر ، وهذا يحتاج إلى طبيب نفسانى محترف ..

١٢

عقدة التفوق

أنا فتاة أبلغ من العمر الثالثة والعشرين طالبة فى كلية الطب .. متوسطة الجمال .. ظريفة محبوبة .. منذ السنة الأولى وأنا أزامل طالبًا .. وأحبه ويحبنى ...

كنا نقضى طول الوقت بالكلية معًا .. ونذهب معًا إلى النادى والملاعب .. ونقضى آخر الأسبوع فى السينما أو فى الحدائق .. ونتحدث فى آمالنا ومستقبلنا ، ونرسم الخطط للسنوات القادمة ..

وتعاهدنا على الزواج بعد التخرج .

قال لى إنه لايريد أن يأخذ مليمًا من أبيه .. وإنه لا يريد أن يتزوج وهو يعيش عالة على غيره

وهكذا كان انتظارنا طبيعيًا ..

ولكن حدثت المفاجأة ..

فى الإجازة الصيفية من العام الأول .. ونحن نعلق الآمال .. ونحلم بالسفر إلى الإسكندرية وقضاء أيام جميلة على الشاطئ ، والاشتراك فى رحلة الكلية إلى سوريا .. تغير فجأة ..

فجأة .. وبدون سبب واضح .. اختفى تمامًا بعد إعلان نتيجة الامتحان .. وفشلت كل محاولاتى للعثور عليه ...

وعلمت أنه رسب فى الامتحان .. وأنى نجحت .. ولكنى لم أستطع أن أربط بين هذا الرسوب وبين اختفائه من حياتى .

إن الامتحانات حظوظ .. وليس فى رسوبه مايخجله وما يغضبنى ..

وما ذنب حبنا ..

إن حبنا أبقى وأعظم من أى نجاح أو فشل فى امتحان أو غيره وأنا أحبه مهما يحدث ..

وتعذبت شهورًا .. وأنا أفكر .. وأتساءل .. ثم كتبت له خطابًا طويلا ألومه .. وأعتب عليه .. وأذرف الدموع من أجل حبنا .. واستحلفه بالأيام الجميلة أن يعود إلىّ

وعاد إلىّ .. وتقابلنا .. ولكنه كان ساهمًا شاردًا متجهمًا ..

لم يكن طليقًا بشوشًا مرحًا كعادته .. وحاولت المستحيل لكى أعيد إليه مرحه .. وحاولت أن أفهم سر عذابه .. ولكنه لم ينبس بحرف .. وكان يقول دائمًا حينما أشير إلى أمر رسوبه .. إن هذا أمر تافه .. وإنه ليس بالرجل الذى يفقد روحه من أول خذلان ..

ماهو إذن السر فى وجومه .. ؟ لا أعرف ..!

وتكرر رسوبه .. وتكرر اختفاؤه .. وتكرر نجاحى فى الوقت نفسه ..

وتكررت محاولاتى للمحافظة عليه واسترجاعه ..

والآن أنا فى امتحان التخرج الأخير .. وهو مازال فى السنة الأولى يتعثر فى كتب التشريح ..

وبعد شهور أكون قد أصبحت طبيبة .. وأكون فى الظروف التى تسمح لى بمعاونته ماليًا .. والإنفاق عليه .. والزواج به برغم كل شىء .

وأنا أحبه ...

ومسألة رسوبه لا تهمنى ..

أريده بأى ثمن .. وهو يتهرب منى وينكمش فى نفسه أكثر وأكثر ويقابل عاطفتى المتأججة بالبرود ...

وأنا أبكى حزنًا عليه .. وحزنًا على نفسى ..

ماذا أفعل لأسترجعه وأسترجع حبه .. وأتزوجه .. ؟

ماذا أفعل ؟ ساعدنى ..

* * *

ساعديه أنت واتركيه فى حاله .. ولا تحطميه أكثر مما حطمتيه .

إنك لا تفهمين عقلية الرجل أبدًا ..

إن الرجل ورث تقليدًا ثابتًا من آبائه وأجداده .. إنه قوّام على المرأة .. ووصى عليها .. ومشرف على بيتها وحياتها . ومتفوق عليها بحكم كونه رجلا ..

قد تكون هذه التقاليد الموروثة موضعًا للجدل .. ولكنها فى دمنا .. مهما تكلمنا عن المساواة ..

إن عمرها خمسة آلاف سنة ..

منذ أيام الفراعنة والملوك رجال والأنبياء رجال والعباقرة رجال .. وحتى هذه اللحظة تجدين فى جمهورية مصر العربية ثلاثين ملحنًا كلهم من الرجال ..

مع أن فن التلحين لا يحتاج إلى عضلات .. ولا إلى رجولة .. إنه مجرد تفوق فى شىء .

ونحن ورثنا التفوق فى الواقع وفى التاريخ وفى الماضى القريب والماضى البعيد

والكلام عن المساواة لا يزيد عمره عن سنوات ..

ونحن نحاول أن نعطى المرأة الفرصة ، ولكن التاريخ أقوى منا .. لأنه بعيد قديم طويل ضارب بجذوره فينا ..

ماذا نفعل .. إننا مساكين .. نحن ضحايا هذا الميراث .. ولابد أن نتفوق لنشعر أننا طبيعيون .. وأننا رجال .. نثق فى أنفسنا ..

إن رسوب زميلك .. ونجاحك باستمرار .. شىء فظيع لا يمكن أن تتصورى أثره لأنك لست رجلا ..

وزواجك به على أساس الإنفاق عليه .. سوف يزيد مشكلته تعقيدًا ويفقده الثقة بنفسه أكثر وأكثر ..

لا يوجد حل .. إن الواقع قد تراكم ضدك ..

إن الزوجة المتفوقة الذكية تدعى دائمًا أنها غير متفوقة قليلة الحيلة وعاجزة . وفى حاجة إلى نصيحة رجلها لتكسبه .. وتكسب حبه ..

إن أتعس مافى رجلك أنه محكوم عليه بأن يكون قويًا برغم أنفه

١٣

حكاية الحب الأول

نحن روح واحدة فى ثلاثة أشخاص .. أنا وهو وهى .. صديقان هى ثالثتنا .. تعارفنا .. وكنا نتزاور منذ الصغر .. ونلعب معًا .. ونخرج معًا ..

كنا نقول لها أسرارنا ونشكو لها متاعبنا .. وكانت هى تحكى لنا حياتها وتشكو لنا زوجة أبيها القاسية .. وكيف تطهو وتغسل وتكنس الشقة وحدها .. وتبكى بالليل دون أن يشعر بها أحد ..

وكانت جميلة وطيبة .

وكبرنا .. وكبرت معنا .. وكبرت معنا آلامنا .. وكنا نتكلم فى كل شىء إلا الشىء الوحيد الذى يؤرقنا .. حبنا ..

كنت أحبها ولم يكن يشغلنى غير شعور واحد هو حبى لها .. ولكنى لم أكن أجد القوة لأصرح بهذا الحب .. كنت أخجل منها ومن صديقى ، وكنت أسمى هذا الحب صداقة لأخدع نفسى ..

ولكنى لم أستطع أن أستمر فى الكتمان .. وراودتنى نفسى أن أرسل لها خطابًا أشرح لها فيه ما أعانيه من الوجد ، وكتبت الخطاب ودسسته فى يدها .. ومرت أيام وأنا لا أقابلها ، وأتجنبها من الخجل والخوف والإحساس بالذنب .. ولكنها سعت إلى بنفسها وجاءتنى وهى تبتسم وفى يدها رد على خطابى ..

وكان ردًا حارًا اعترفت فيه أنها تبادلنى الحب .. وليلتها بت طول الليل مسهدًا أتقلب على جنبى من الفرح ..

واستمرت بيننا الخطابات أكثر من سنة ..

وفى أحد الأيام لم أستطع أن أكتم السر عن صديق صارحته بالحقيقة ، وحدثته عن حكاية الخطابات المتبادلة .. وهنا كانت المفاجأة فقد نظر إلىَّ فى دهشة واستنكار .. ثم دخل غرفته وأخرج حزمة من الخطابات من درج مكتبه .. وكلها بخطها وكلها تذوب حبًا ووجدًا وهيامًا .. وبعض العبارات مكررة فى كلامها .. عبارات مثل :

أنظر إلى نجوم الليل فأتذكر سواد عينيك الجميلتين .. القمر مضىء مثل ابتسامتك ..

وبعض العبارات منقولة من خطاباتى أنا لها .. ومن تغزلى فيها .. وألجمتنا الصدمة .. ولبثنا ننظر إلى بعض فى ذهول ..

كان من الواضح أننا كنا ضحية مهزلة مثلتها علينا – نحن الاثنين – وأننا نبكى ونسهر ونتعذب على لا شىء .. على كلام فاضى ..

وذهبنا إليها لنلقى فى وجهها بالحقيقة .. فبكت واعترفت .. وقالت إنها تحبنا نحن الاثنين .. وإن حبها لنا ينمو معها منذ الصغر .. وإن كل واحد فينا صورة من الآخر .. لا تستطيع أن تفضل أحدًا ولا أن تختار أحدًا .. ولا أن تستغنى عن أحد .. هذه هى الحقيقة .. وليظن كل منكما ماتشاء له ظنونه .. ولكنى أحبكما .. وهذا حبى الأول والوحيد ..

والمهم الآن أننا نحبها .. بالرغم من هذه الخدعة ..

وأنا لا أدرى ماذا يدور فى قلب صديقى .. ولكنى أعلم بما يدور فى قلبى .. وأعلم أنى أحبها وأعبدها .. وأنى أغتفر لها كل ما تفعل .. وأن حبى لها سيكون

حبى الأول والأخير فى الدنيا ..

وحلمى الوحيد أن أتزوجها .. وأعيش معها ..

مارأيك .. ؟

* * *

لو أن الظروف جمعتكما على أى فتاة أخرى لوقعتما فى شراك حبها تمامًا كما حدث مع هذه الفتاة .. وهذه دائما حكاية الحب الأول فى كل مكان .. خطابات وسهر ودموع ووعود بالإخلاص وخيبة أمل .. مع أية فتاة تلقى بها المصادفة .

وحكايات الحب الأول مادة جيدة للذكرى .. ولكنها لا تصلح لتكون مادة حياة وزواج ..

إنها الحرارة التى تبثها المراهقة .. واللهب الذى يبثه الشباب حوله فى كل مكان ..

احتفظ بالخطابات .. لتقرأها حينما تكبر .. واحتفظ بالقصة كلها فى الدرج معها ..

إنها الآن تثير دموعك .. ولكنها غدًا لن تثير فيك إلا ابتسامة لطيفة ..

١٤

الحنان

أنا مازلت صغيرة .. اعذرنى فى أسلوبى الضعيف إنى أشعر بالحب نحو كل الناس ونحو أصدقائى ، وهم يحبوننى ويبادلوننى الإخلاص والتضحية .. وأخى كان مثلى وهو صغير ، ولكنه فقد الكثير من إخلاصه وحنانه حينما كبر وأصبح جافًا جامدًا .. لا يؤمن بالعواطف .

وأبى وأمى أكثر منه جفافًا .. وأقل منه إيمانًا بالحب .. وهم يقولون لى إن كل شىء فى الدنيا مصلحة .. وإن كل واحد فى الدنيا يجرى خلف منفعة .

والغريب أن حكايات أمى وهى صغيرة تدل على أنها كانت عاطفية تؤمن بالحب والإخلاص مثلى ..

ماذا يحدث للإنسان حينما يكبر ليفقد حنانه وحبه وإيمانه بالإنسانية ..

لماذا يصبح الناس أنانيين حينما يكبرون .. ما السبب .. ؟

من تجاربى البسيطة أميل إلى أن السبب هو عدم كفاية الحب والحنان الذى نبذله للناس فى هذه الدنيا ..

أنا مثلا .. عندما أظهرت لأبى – الذى كنت أظنه عصبيًا قاسيًا – حنانى .. وأبديت له حبى بدلا من خوف .. وجدته يتحول إلى إنسان رقيق غاية فى الرقة .. ورأيته يفعل المستحيل ليحقق لى رغباتى .. ولاحظت أنه بدأ يضبط أعصابه حتى لا يبدو أمامى قاسيا .

كذلك أمى لما حاولت أن أتفاهم معها بدلا من العناد .. وجدتها تحاول أن

تفهمنى وتسمح لى بكثير من الحريات .

وعندما أعددت العشاء لاخوتى الساهرين فى الخارج وكتبت لهم تحية المساء على ورقة .. طبعوا على خدى قبلة وأنا نائمة .. وفى الصباح لم يتعاركوا على المصروف ..

مارأيك .. أليست المشكلة كلها هى مشكلة حاجتنا إلى الحب .. أم أنى صغيرة كما تقول أمى .. ولا أفهم فى الدنيا .. ؟

* * *

أنت لست صغيرة . أبدًا .. ربما كنت صغيرة فى السن .. ولكنك كبيرة فى القلب والعقل .. أكبر منا كلنا .

لقد استطعت بفطرتك الصافية أن تدركى سرًا كبيرًا من أسرار الدنيا .

إن الإنسان يبدأ حياته .. يتدفق بالحب والحنان والتفاؤل والثقة .. ثم يجف هذا النبع العاطفى فى قلبه كلما كبر .. ويتحول مع الزمن إلى عجوز أنانى بخيل لا يحس إلا بمصلحته ولا يجرى إلا خلف منفعته ..

والسبب أن أحلامه الصغيرة وعواطفه الصافية تصطدم مرة بعد مرة بما يخيب أمله .. ويزلزل ثقته فى الدنيا وفى الناس

حبيبته تهجره وزوجته تكذب عليه .. وصديقه يستغله ولا يجد فى قلبه رصيدًا يغطى هذا الفشل .. ويحفظ له ابتسامته وتفاؤله فيفقد النضارة ويجف ويقسو .. ويتحول سخطه إلى سخط على الدنيا كلها ..

والسبب كما قلت أنت .. أنه لم يجد كفايته من الحنان .. لم يجده فى الدنيا .. ولم يجده فى قلبه .. فأفلس ..

والدليل على هذا أن القلب الكبير لا يحدث له هذا الجفاف مهما كبر

وشاخ . لأنه يجد فى نفسه القدرة على بذل الحنان دائمًا مهما حدث له .. ومهما تلقى من صدمات ..

وبهذه القوة وحدها يسترد حب الناس الذى فقده .. ويسترد ثقته فى الدنيا .

وهذا هو ماحدث لك مع أبيك وأمك ..

إن مشكلتنا جميعًا هى كما تقولين فى خطابك .. حاجتنا إلى الحب . إن اعترافك الصغير البسيط هو أجمل وأصدق ما قرأت منذ بدأت فى كتابة هذا الباب .

١٥

تحضير الأرواح

بدأت مشكلتى حينما بدأت أحضر الأرواح عن طريق السلة .. وكان نتيجة لتحضيرى هذا أننى أصبحت فردين فى شخص واحد .. فقد تقمصتنى روح من الأرواح تدعى نعيمة .. وسيطرت هذه الروح على تفكيرى لدرجة أنى أصبحت أعلم كل شىء عن نفسى وعن بقية الأشخاص الذين أتعامل معهم دون سؤالهم .. وأصبحت عندى القدرة على التنبؤ عن أشياء كثيرة من دون أن أراها ..

ودامت علاقتى بهذه الروح لدرجة أنى عاشرتها معاشرة الأزواج ..

وكنت أحس بأن تفكيرى قد بات مشلولا .. ومافائدة التفكير .. وأنا بإمكانى أن أتنبأ بكل شىء قبل وقوعه .. بالعمل الذى أعمله .. بالطعام الذى آكله .. بالخطوة التى أخطوها .. بكل شىء .. كل شىء .

وكانت نتيجة هذا المس الروحى أن انهارت أعصابى وأشرفت على الانتحار والجنون .. وبحثت عن مساعدة فلم يصدقنى أحد .. حتى المشرفون الاجتماعيون فى المدرسة ضحكوا علىَّ ..

وأخيرًا قادتنى ظروفى إلى جمعية روحية .. اشتركت فيها وأصبحت عضوًا مريضًا بها أعالج بالجلسات الروحية ..

وتحسنت صحتى ولكن لم أشف تمامًا .. وكنت أشعر حينما كنت أذهب هناك أنى لا أستطيع صعود السلم مهما بذلت من مجهود ..

وانقطعت عن الذهاب .. وعدت طبيعيًا .

ولكن منذ شهر بدأت المناوشات بين هذه الروح وبيني من جديد .. والمشكلة أنها تسبب لى متاعب جسمانية لا علاج لها .. والآن وقد بلغت من العمر ٢٢ سنة وأنا بهذه الحال .. لا أستطيع أن أكاشف أحدًا بهذه المتاعب .. حتى لا يتهمنى بالجنون .. ولا أعرف ماذا أفعل .. وأخشى أن أرسب فى الامتحان كما رسبت فى العام الماضى .

وأخشى أن تعود هذه الروح إلى وأرجو أن تمد لى يد المعونة .

* * *

أولا هذا كلام فارغ ..

تحضير الأرواح بالسلة كلام فارغ .. وحكاية الروح التى اسمها نعيمة التى ركبتك وعاشرتها وعاشرتك معاشرة الأزواج وفتحت لك مغاليق الغيب .. فأصبحت مكشوف الحجاب .. كلام فارغ .. ولو كنت مكشوف الحجاب حقًا لعرفت أسئلة الامتحان وعرفت الأجوبة ، ولما رسبت فى الامتحان كما تعترف فى خطابك .. ولكان فى إمكانك أن تذهب إلى سباق الخيل لتلعب وتكسب مليون جنيه على كل الخيول الرابحة .. مادمت تعرفها مقدمًا .. ولرقصت فرحًا بهذا الزواج الروحى بالست نعيمة بتاعتك ، فهو زواج مريح جدًا لا يحتاج إلى إيجار شقة ولا إلى عفش .. ولا مسئولية بيت وأكل وشرب وأولاد .. إنه لذة صرفة يابلاش بدون تكاليف وعليها بقشيش كمان هو الاطلاع على الغيب مجانًا ..

انزل إلى الشارع وابحث عن ورق اليانصيب الرابح مادمت تعرفه مقدمًا ..

واشتره .. واكسب ألف جنيه يوميًا .. ولا تبك على حظك ولا تذهب لجمعية روحية لتعالج نفسك .. وليه .. واحد يعالج نفسه من مرض هو الجنة بعينها ..

لكن الحقيقة أن الحكاية كلها كلام فارغ .. وأوهام فى أوهام .. وخيالات أوحيت بها إلى نفسك وصدقت نفسك .. وإيمان ساذج رحت ضحيته ..

وأؤكد لك أنك ستشفى تمامًا فى اللحظة التى تفقد فيها إيمانك بتلك الأرواح الخرافية ..

وسوف تفقد إيمانك فى اللحظة التى تناقش فيها نفسك فى هدوء وثقة وبدون خوف ..

وتأكد أنه لا شىء فى هذه الدنيا يستحق أن يخاف منه الإنسان إلا الله وحده ، فالإنسان قد أثبت أنه مخيف أكثر من الشيطان نفسه ..

فهو قد صنع القنبلة الذرية وطار فى صاروخ إلى القمر .. وركب كوكبًا ودار به حول الأرض ..

ومن الذى ركب الكوكب ودار به حول الأرض ؟!

امرأة اسمها فالنتينا ..

يارجل عيب .. فوق لنفسك ، مش عيب تبقى فى عصر فالنتينا ... وأنت فى عصر نعيمة .

١٦

عقب السيجارة

بدأت حياتى بزواج فاشل انتهى بخيانة زوجية وطلاق .. أعقبته سنوات من الوحدة والمرارة والخراب والأعصاب التالفة والأمراض والمتاعب الجسمية والنفسية من كل نوع .

كنت أشكو الصداع المزمن وسوء الهضم وأدمن على المنومات والمسكنات ..

وكان هناك ما يدمرنى أكثر من هذه المنغصات الجسدية ..

الشك وسوء الظن وفقدان الثقة وفقدان الأمل واليأس من الدنيا .. ومن الوفاء .. ومن جنس النساء على إطلاقهن .

عشت سنوات وأنا بهذه الحالة النفسية . أتحرك مذهولا شاردا كشبح .. أعيش فى عزلة مهما خالطت الناس ومهما غشيت السهرات والمنتديات .. وأحياناً كانت هذه السهرات تزيدنى وحدة .. كنت أشعر أنى منفصل عن الضحكات حولى .. منعزل عن القهقهات المرحة .. غائب فى نفسى .. فى التيه المظلم فى داخلى ..

ظللت على هذه الحال حتى عرفتها ، كانت امرأة فى الأربعين مريضة عليلة ذابلة .. امتص حياتها ثلاثة أزواج لم يتركوا لها سوى أثر باهت من جمال ، وبقايا من جسد مرهق وبيت خرب .. ولا طفل .. ولا طفلة .. ولا ذكرى ..

ويدأ كل منا ينفض همومه إلى الآخر ..

وتوثقت بيننا مع الزمن رابطة غريبة .. هى رابطة الألم ..

كانت تقول لى .. وعيناها دامعتان ..

مانفعى .. لقد انتهيت .. لم يعد هناك رجل يمكن أن ينظر إلى ..

ولكنى كنت أنظر إليها وأحتضنها بعينى وقد ذابت شكوكى على وقع كلماتها .

أخيرًا .. أحسست أنى أثق فى امرأة من جديد ..

كيف حدث هذا ؟ . لست أدرى !

وتطورت الأمور بسرعة .. وعرضت عليها الزواج ..

وثارت العائلة .. وواجهنى الكل بزوبعة من الصراخ والاحتجاج ..

كيف تتزوج من هذه العجوز العليلة الذابلة التى امتصها الرجال .. وأنت رجل فى الثلاثين فى كمال رجولتك وصحتك .. غنى جميل جذاب .. لا ينقصك شىء ..

إنك تلتقط عقب سيجارة دخنها الكل . ولم تعد تصلح لشىء

وصارحنى خالى الطبيب بأن مرضها لن يمهلها أكثر من سنة .. وأنها مقضى عليها بالموت لا محالة .. فزاد هذا من تمسكى بها .

وأنا الآن أستعد لإتمام الزواج فى الأيام القليلة القادمة ..

سوف أتزوجها مهما حدث ..

الكل ضدى .. الكل يخذلوننى .. ولكنى أحبها ما رأيك فى هذا الحب .. ؟

* * *

أخشى أن أقول لك إن هذا ليس حبًّا كما تتصور .. إنه مرضك العصبى الذى وجد دواءه فى هذه المرأة .. إن مشكلتك الحقيقية .. أنك فقدت الثقة فى كل النساء .. وأصبح ظل الخيانة يحوم حول كل امرأة تنظر إليها ..

ولهذا استحال أن يتجدد حبك ..

ولهذا ظللت تعيش فى وحدة وضياع حتى عثرت على هذه المرأة .

امرأة انتهت على حد تعبيرها هى .. ولم يعد لها نفع .. ولم يعد من الممكن أن ينظر إليها رجل . كانت هذه الكلمات كقطرات الندى التى نزلت على أعصابك .

هاهى ذى امرأة لا يمكن أن تكون موضع شك .. ولا موضع خيانة ..

وشعرت بالراحة .. فى أعماقك .. فى أعماق عقلك الباطن ..

وحينما قال لك خالك الطبيب .. إنها ميتة .. ولن تعيش أكثر من سنة .. شعرت بالاطمئنان أكثر ، فسوف تتزوج جثة لا يمكن أن تخونك أبدًا ..

كانت هذه الأحاسيس تخالجك من الباطن وكان عقلك الواعى يخدعك ويصور لك هذه الأحاسيس والروابط على أنها حب ..

ولكنها ليست حبًا .. إنها عقابك لنفسك .. وسوء ظنك الذى تحكم فيك .. ثم حكم عليك بهذا الاختيار المريض ..

انظر إلى حياتك من جديد .. وحاول أن تتخلص من هذه العقدة .. إن الدنيا مليئة بالبنات .. وبالإخلاص والحب والخير .

١٧

وما هى النظافة .. ؟

كانت جارتى ..

تبادلنا النظرات .. ثم الإشارات .. ثم تلاقينا .. لنتبادل الهمس وليضغط كل منا على يد الآخر .. ثم ذهبنا إلى سينما ... وفى الظلام وشوشت فى أذنها بكلمة الحب .. ولثمت يدها .. وخدها ..

وبعد شهور اختليت بها فى بيتى وأعطتنى نفسها .. جسمًا وروحًا ..

ومنذ أيام .. كنا نتكلم أنا وأبى وأمى .. ولاحظت أن أبى وأمى يتبادلان النظرات والابتسامات .. ثم قالا لى إنهما خطبا لى عروسة .. وذكرا لى اسمها ..

ودار رأسى .. وأظلمت الدنيا فى عينى .. فقد كانت هى نفسها .. جارتى ..

وكان أبى وأمى يتكلمان فى براءة ..

وكانا مسرورين .. وكانا يقولان إنها بنت طيبة وشريفة .. ومن أصل طيب .. ومن المدرسة إلى البيت .. ومن البيت إلى المدرسة .. ولا تعرف مياعة بنات اليومين دول .. ولم تطلع عليها سمعة سيئة مثل غيرها من بنات الجيران ..

وكنت أسبح فى عرقى ..

لقد كنت الوحيد الذى يعلم أمر هذه البنت الشريفة الطيبة التى لا تعرف مياعة بنات اليوم .

كنت أنا الوحيد الذى أعرف مياعتها .. ودلعها .. وخسارتها .

ولأول مرة .. حينما بدأت أتصور أنها زوجتى .. أحسست أنى أكرهها .. بكل ما فى كلمة الكراهية من معنى .. ولا أطيق رؤيتها ..

لقد كان حلمى .. طول حياتى .. أن أعثر على امرأة طاهرة .. وأن أبنى بيتى على حب طاهر نظيف ..

ترى .. هل فات الأوان .. ؟

* * *

كان يجب أن تكره نفسك أولا ..

وكان يجب أن تبحث عن الشيء النظيف فى داخلك أنت أولا ..

إنك باسم الحب استدرجت صاحبتك حتى اختليت بها .. ثم بصقت عليها .. واعتبرتها غير نظيفة ..

غير نظيفة لماذا ؟ لأنها صدقت كلامك .. وطاوعت رغبتك .. لأن فيها نفس الضعف الذى فيك ..

إن الرجال أمثالك هم أسباب محنة البنات وعذابهن ويأسهن ..

إن الرجال أمثالك : يجرون خلف المرأة .. فإذا استسلمت .. تركوها وإذا ردتهم خائبين .. تركوها أيضًا !

والنتيجة أن البنت تقع فى ورطة .. ماذا تفعل لترضى الرجل ؟ إنها إذا قاومته قال عنها رجعية .. وإذا استسلمت له قال عنها غير نظيفة ..

وهو يدعى أنه يبحث عن حب طاهر. وهو فى الحقيقة يكذب .. لأن الحب الطاهر لا يعنيه بالمرة ..

والنهاية أن يتزوج فى سن اليأس بعد أن يتعب من نفسه ومن غبائه .. ويترك ذقنه للخاطبة .. أو للمصادفة تختار له .. ويدخل على امرأة ليس بينه وبينها

تعارف ولا تفاهم .. ويتحول إلى زوج شكاك غيور سخيف .. وتخونه زوجته من أول يوم لأنه لا يحتمل .

وهو فى أحسن الأحوال يكون زوجًا غبيًا بليدًا ميت الإحساس يائسًا من نفسه ومن مثالياته .. ومثل هذا الزوج تخونه زوجته أيضًا .. لأن وجوده مثل عدمه ..

والنهاية أن تتحول حياتنا إلى فشل فى فشل ..

فشل فى الحب .. وفشل فى الزواج .. وفشل فى الأسرة .. والسبب واحد فى كل هذه الحالات .. وهو انعدام الصدق ..

لو كنت صادقًا مع نفسك لما أنكرت على فتاتك أن تكون ضعيفة .. لأنك أنت أيضًا كنت ضعيفًا مثلها .. وقد تبادلتما أنتما الاثنان هذا الضعف ..

والضعف صفة من صفات البشرية .. وأنت أولى بأن تغفر لها ضعفها فقد كنت أنت سبب هذا الضعف .. وإنما القذارة فى أن تكذب عليك وتدعى الطهارة وهى ملوثة لتخدعك وتضحك على عقلك وتدعى أنت الحب لتضحك على عقلها .. وتكون النتيجة أن يتحول المجتمع إلى جماعة من الكذابين .

إن صاحبتك سوف تلعنك .. وسوف تلعن كل رجل تعرفه بعدك .. وسوف تعذب زوجها .. وسوف تعذب أهلها ..

وأنت السبب .. لأنك أفقدتها الثقة فى نفسها .. وفى الدنيا .. وحيرتها .. وحيرت دليلها ..

ومثلك كثيرون .. ومثلها كثيرات .

ويا ويلنا منكم .. ومنهن .. ومن أنفسنا .

١٨

سجن بدون قضبان

ترددت كثيرًا فى الكتابة إليك خوفًا من ألا تفهم موقفى .. وتتهمنى بأنى دلوعة .. ولكن هأنذا أجازف وأكتب لك كل شىء .

أنا شاب فى أوائل العقد الثالث من عمرى .. تخرجت فى الجامعة من مدة ليست طويلة .. وحالتى المالية ميسورة ومظهرى حسن .. ولكن مشكلتى أنى أحس بفراغ رهيب مخيف ، وعدم اهتمام بأى شىء فى الحياة مما يجعل أيامى ولياليّ غير محتملة .. فأنا أستيقظ من النوم حاملا على كاهلى هم وعذاب أنى سأعيش يومًا جديدًا كاملا .. ٢٤ ساعة .. ولا أتصور كيف ستمر علىّ كل هذه الساعات . فليس لدى أى شىء أهتم بأن أشغل نفسى فيه وأكون سعيدًا بانشغالى به .. وإنما على العكس أنظر إلى كل شىء نظرة ازدراء وتجاهل وعدم اهتمام .. ولا أعرف كيف أفسر هذا الشعور المؤلم الذى قلب حياتى إلى جحيم لا يطاق ودفعنى للتفكير فى الانتحار ..

لقد أحببت لأول مرة حبًا جارفًا ملأ على كيانى .. ولكن بالرغم من هذا .. وبالرغم من أنى كنت أغلى كالبركان من الداخل .. لم يكن يظهر علىّ شىء من هذا الشعور .. ولم أصارح حبيبتى بأى شىء .. وإنما كنت أقف لأحادثها بمنتهى البرود .. وكنت أعبدها .. وأعبد التراب الذى تمشى عليه .. وكان المكان الذى تذهب إليه هو عندى أحسن الأمكنة .. والساعة التى تحضر فيها أجمل الساعات .. وكنت أتمنى أن أذهب وراءها إلى أى مكان تذهب إليه .. وأجلس

إليها طوال الوقت أستمع إليها .. وأتحدث معها وأنظر إليها .. وكان قلبى يدق حينما أكلمها ولو فى التليفون .. وكان يكفى أن أرى فتاة تشبهها ، حتى يهتز كيانى كله ..

وبالرغم من هذا لم أظهر لها شيئًا ..

وإذا بدا عليها أنها حزينة تحولت إلى أتعس إنسان فى الدنيا .. وأصبحت مهمومًا شاردًا وبالطبع لم ينته هذا الحب إلى شىء .. وتزوجت هى وأصبح حبى شيئًا مضحكًا ومزريًا بالنسبة لى .. فطويته فى جانب بعيد قصى من قلبى .. وانهمكت فى دراستى بالكلية لأنساها .. ومرت سنتان ..

وانتهيت من الدراسة وحصلت على الشهادة التى أرى الآن مقدار تفاهتها .. وانتهيت إلى الحالة التى شرحتها لك ..

تمر علىّ أيام .. لا أحس بأنى أرغب فى شىء .. لا أريد أن أقرأ أو أخرج أو أسمع موسيقى ، أو أمارس أى هواية من هواياتى .. إنما أظل ممددًا على سريرى لا تصدر منى حركة .. ويمر الوقت بطيئًا مملاً قاتلا وأنا كالبركان الثائر من الداخل .. كلى اشمئزاز ونفور من حياتى بهذه الطريقة ..

لم أعد أهتم بأصدقائى ... ولم أعد أهتم بالأشياء الجميلة التى كانت تسعدنى فيما مضى كالموسيقى والقراءة والسيما والنادى .

وهكذا أعيش وقد عدمت كل شىء حتى الذكريات .. فذكرياتى سخيفة تافهة وحاضرى فارغ ومستقبلى مظلم .

لا أظن أن لديك نصيحة أو حلا .. والحقيقة أنى لم أكتب منتظرًا أى حل .. وإنما أردت أن أريك بعض حالات الشقاء والتعاسة التى يمكن أن يعيش فيها الإنسان بالرغم من توفر الفرص والوسائل لديه ليكون سعيدًا ..

* * *

إن شخصيتك غريبة ..

إن فيك انطواء يدفعك دائمًا إلى أن تمضغ انفعالاتك فى قلبك ولا تنطقها ..

لقد عشت فى بروفة حب .. ولم تحاول أن تمارس هذا الحب أو تجربه .. ولم تفعل هذا على سبيل البرود أو الدلال .. ولكن فعلته جبنًا وخجلا وترددًا .. لانطوائك على نفسك وخوفك من الخروج منها .

وهكذا بدأت قصة حبك فى داخلك .. وانتهت فى داخلك دون أن يسمع بها أحد ..

وهأنتذا تسلك فى حياتك كما كانت تسلك فى حبك .. تمضغ انفعالاتك .. وتعلق رغباتك على حبال الملل والانتظار .. ثم لا تكتفى بعدم العمل وإنما تتجاوزه إلى عدم الاهتمام ..

إن شخصيتك تسودها البطالة والتعطل .. كل شىء فيها مضمر .. وممكن .. ولكنه غير واقع ..

شخصيتك تشبه دولة بها جهاز تشريعى وليس بها جهاز تنفيذى .. ومثل هذه الدولة تعيش فى النظريات ولا تفعل شيئًا ..

إن ما ينقصك ليس الحب .. ولكن العمل والبت والإيجابية والفعالية .

افعل شيئًا أى شىء .. وإذا لم تكن لديك الرغبة فاحمل نفسك على فعل شىء .. ومن الحركة تتولد الرغبة .. ويتولد الاهتمام ..

إن نجاتك الوحيدة فى العمل .

أما إذا أسلمت نفسك لهذه البطالة فإنك سوف تختنق يومًا ما بالطاقة التى تفور داخلك ولا تجد لها منفذًا تعمل فيه .. وسوف تنتهى إلى أسوأ النتائج ..

١٩

الاختيار

تزوجت فى سن الخامسة عشرة رجلا يكبرنى بنحو ٢٠ عامًا تحت ضغط أب عنيد وأم جاهلة كل همها الثراء والمركز والمكانة التى تليق باسم العائلة ..

حاربت هذا الزواج بكل ما أوتيت من قوة صراخ وبكاء .. ولكنى لم أفلح ..

وباعونى كلهم ..

ودخلت وأنا أرتجف بيت رجل لا أحبه .. رجل قبيح الخلقة والخلق .. بخيل .. شاذ الطباع .. شديد المعاملة .. كل كلماته أوامر .. كان لا يعود إلى بيته قبل الثانية صباحًا تفوح منه رائحة الخمر .. يترنح .. ويتكلم .. بفم معوج ..

وتمضى لحظات الفراش ثقيلة .. هو من ناحية جلف غليظ فى مغازلته .. أنانى لا يهمه إلا أن يحصل على متعته .. ثم يدير ظهره ويتركنى . وأنا من ناحيتى أعانى الخجل والاشمئزاز والإحساس بالهوان ..

وكان طوال علاقتنا .. ضعيفًا فى هذه المسألة ..

وكنت أشكو لأمى كرهى له وعزمى على النوم وحدى .. وكانت تنهرنى وتقول لى كرهك وحبك لنفسك ضعيهما فى قلبك .. أما جسدك فهو ملك له ..

وسمعت كلامها .. وبدأت أترك له جسدى كخرقة بالية لا حراك فيها ولا روح .. وأنجبت أربعة أولاد .. وأنا أتعذب .. وأكتم فى نفسى .. حتى انهارت أعصابى .. وأصابنى ضغط الدم والقلب .. وبدأت تتناوبنى الأمراض .

وبدأت أبتعد عنه جسمانيًا ..

كان هذا منذ اثنى عشر عامًا ..

أصبحت لا أحتمل بمجرد سماع صوته أو رؤيته وكنت حينما أراه يدق قلبي بشدة ويكاد يتوقف وتنتابنى حالات عصبية .

ومنذ أربع سنوات انقطعت عن الكلام معه .. وأصبح لى جناح وحدى فى البيت .. وله جناح وحده ..

وإلى الآن لم يطلقنى .. وهو يقول .. إنه لن يتركنى حتى أصبح غير صالحة له أو لغيره ..

ولكنى لم أعد صالحة له ولا لغيره .. منذ الآن ..

لقد أصبحت بعد عذاب ٢٥ سنة امرأة محطمة ، أولادى كبروا وأصبحوا شبانًا .. وأنا ذبلت وأصبحت مريضة .

والآن أريد أن أستريح ..

أريد الخلاص منه بأى طريقة .. إنه لا يريد أن يطلقنى .

وأنا لا أستطيع أن أطلب الطلاق من المحكمة لأن مركزى ومركز أولادى ومركز العائلة لا يسمح .. لا أريد فضائح .

أفكر فى تغيير دينى لأصبح محرمة عليه .. ولكنى أخاف من الله .. كيف يكون خلاصى .. إنى تعيسة

* * *

إن العجيب فى خطابك هو صبرك هذا العمر الطويل .. هذه السنوات الخمس والعشرين حتى انتهيت إلى هذه الحالة من ضغط الدم والقلب والانهيارات العصبية والمقاطعة الجسدية . ثم فى النهاية إلى عدم تبادل الكلام ..

وأخيرًا وبعد خمس وعشرين سنة وبعد دفع كل هذه الضرائب الباهظة أحسست أن الحياة معه أصبحت لا تحتمل . إنه لابد من خلاص ..

وأى خلاص ؟!.. خلاص يتم بمعجزة .. بدون أن يطلقك . أو تطلقيه بالمحكمة حتى بعد الخمس والعشرين سنة مازلت تخافين .. وتقولين .. أولادى .. عائلتى .. مركز العائلة لا يسمح ..

ولكن أمك حينما زوجتك بالإكراه كانت تقول هذا أيضًا .. مركز العائلة لا يسمح .. اسم العائلة يستدعى .. إلخ .. إلخ .

كانت أمك أسيرة المظهر المحترم والسمعة فاختارت لك زوجًا ذا لقب وأطيان .

وتعذبت العمر كله لأنك عجزت عن البت فى مصيرك .. كان البت يحتاج إلى إسقاط هذه الاعتبارات .. وأنت مثل أمك تخافين على هذه الاعتبارات !.

واتخاذ أى قرار فى الدنيا يحتاج إلى التضحية بشىء ..

نحن نقامر بحريتنا واختيارنا فى كل لحظة . وأنت تطلبين الأمان .. وهذه نتيجة الأمان .

أنا أعرف الشىء الذى يرهقك .. إنه ليس كره زوجك .. ولا ضغط أمك .. إنه ضعفك . ضعفك أمام اللحظة الفاصلة .. لحظة اختيار المصير ..

ولكن ليس أمامك مفر .

إما الاستشهاد إلى النهاية ودفع الثمن ..

أو الثورة ودفع الثمن ..

اختارى ..

حتى يكون لك اختيارًا تدفعين ثمنه ..

٢٠

حقيقة المشكلة

أنا طبيب حديث التخرج .. ناجح فى عملى كما كنت ناجحًا فى دراستى .. حالتى المالية من عملى ومن إيراد خارجى متيسرة جدًا .. أمتلك سيارة .. وشقة خاصة .. مؤهلاتى الشخصية ممتازة .. رياضى متفوق فى أكثر من لعبة .. صحتى جيدة .. شكلى جميل .. أنيق .. جذاب .. ذكى .. محبوب من الجميع .. خفيف الروح .. بارع فى اكتساب الصداقات .. وفى استهواء القلوب ..

بدأت تجاربى مع الجنس الآخر من سن مبكرة .. من الخامسة عشرة .. وكانت لى علاقات كاملة منذ تلك السن ..

أنا الآن عضو فى أحد أندية القاهرة .. وملك هذا النادى غير المتوج على قلوب الحسان .. ولكن للأسف الفتاة الوحيدة التى أحببتها هى التى لم أحظ منها بأقل اهتمام .. وقلبى الآن موزع بين ثلاث فتيات ..

فتاة أعبدها ولا تحبنى ..

وفتاة أخرى تعبدنى لدرجة الجنون ومحاولة الانتحار وأنا لا أحبها ..

وثالثة لا أحبها ولا تحبنى ولكننا نتمتع معًا إلى أقصى حدود المتعة ..

إنى أعيش الآن فى يأس .. وقد كفرت بالحب .. وخلت حياتى تمامًا من الجانب المضىء ..

ماذا أفعل لأكسب فتاتى التى أحبها ..

* * *

إنك فى اللحظة التى تكسب فيها هذه الفتاة التى تدعى أنك تعبدها .. سوف تضعها فى خانة .. فتاة تعبدنى ولا أحبها .. ثم تبدأ فى علاقة جديدة .

إنك شاب هلاس .. كل همك أن يكون لك عرش .. وأن تكون الملك غير المتوج على قلوب الحسان ..

إن ما يعذبك من فتاتك .. ليس حبك لها .. ولكن حبك لنفسك وغرورك .. الذى حطمته هذه الفتاة لأول مرة ..

ولن يكون همك هو أن تبادلها الحب أبدًا .. وإنما سوف يكون همك هو أن ترد اعتبارك لنفسك .. وتثبت لنفسك أنك مازلت فارسًا ولهذا سوف تلفظها بعد لحظة من استسلامها وتبدأ فى البحث عن أخرى ..

إن خطابك الذى يتألف من ثلاث صفحات .. يحتوى على صفحتين كاملتين . تتغزل فيهما فى نفسك : جاذبيتك .. جمالك .. صحتك .. شقتك الخاصة .. عربتك .. حالتك المالية .. ذكائك .. مهارتك فى استهواء القلوب .. نجاحك فى عملك وفى دراستك ..

وفى الوقت الذى تقول فيه إن قلبك يتعذب وعواطفك تحترق .. تسمح لنفسك بأن تبادل امرأة أخرى المتعة بدون حب من ناحيتك ولا من ناحيتها .. ولا يفعل هذا إلا إنسان بلا قلب وبلا عاطفة .. وبلا مشاكل من هذا النوع الرقيق الذى تدعيه .

إن أحسن عقاب لك هو ما أنزلته بك هذه الفتاة .. التى كسرت شوكتك وحطمت غرورك .. وأرغمتك على احترامها وعبادتها .. وحينما تفهم كل فتيات النادى .. كيف يعاملنك ويكسرن أنفك الجميل .. سوف تنصلح حالك وتتأدب . أيها الملك غير المتوج على دولة الهلس ..

٢١

التعب

أنا شاب فى الرابعة والعشرين .. تركتنى خطيبتى قبل شهر ونصف بعد حب ملتهب .. وبدون سبب .. لتتزوج من غيرى فى بلد بعيد جداً تحملت الصدمة بمرارة .. ثم بدأت أسلك طريقاً سيئاً .

أصبحت الفتيات الرخيصات كل هوايتى أبدل الواحدة بالأخرى على قدر مامعى من نقود .. ثم تعرفت على امرأة ذات سلوك يسميه الناس بالسلوك السيئ .. علمت أنها مطلقة ومازالت على علاقة بمطلقها .. عرضت عليها الزواج فوافقت .. لم أشعر نحوها بما يسميه الناس حباً .. ولا بأى رومانتيكية .. وهى أيضا علمتها التجارب وعلمها الخداع أنه لا يوجد شىء اسمه حب ..

أصبح الأمر بيننا أشبه بصفقة .

أنا أشعر بالحاجة إليها .. ولكنى لا أفهمها .. وأحس بأن جميع عواطفها مغلقة أمامى .. ولم أر منها سوى بعض دموع فى أول اجتماعى بها .. وهى تشعر بالحاجة إلىّ .. ولكن ليس لديها حماس .. وأشعر بها باردة خاملة بين يدى .. ولا يجد أحدنا الشجاعة الكافية ليقول للآخر .. أحبك .. أعبدك .. أنت حياتى ..كلانا يشعر أن هذا كلام فارغ ..

وأهلى يرون أن الحكاية كلها فاجعة .. ولا يوافقون .. ويهددون ويتوعدون .. وأنا حائر ..

هل أتزوج الفتاة .. أو أتركها .. وأعيش فى أحضان القلق والإسراف

والإرهاق .. ؟

وكيف أتزوج كما يتزوج الناس .. وأنا لم أعد أعرف شيئاً اسمه بنت ناس .. وحب .. وانتظار .. وخطوبة .. وشرف وكرامة وسعادة زوجية .. ؟

* * *

إن اليأس هو المأذون الذى سوف يعقد زواجكما .. كلاكما محطم يائس غطى قلبه الصدأ وفقد البريق والنضارة .. وكلاكما يتخبط .. هى مطلقة تعاشر مطلقها وتتزوجك فى نفس الوقت . وأنت تعاشر شبح امرأة هجرتك وتخمص وتضع يدك فى يدها وأنت لا تعرفها ولا تفهمها وتطلب منها الزواج .

إن العلاقة بينكما مفقودة تماماً .. وكل منكما يعيش فى عزلة عن الآخر .. مغلق على مأساته .. ومشكلته ..

وما يربط بينكما هو التعب .. والضجر .. والملل .. ومثل هذه العلاقة مقضى عليها بالفشل .. إنها مثل المولود الذى يولد ميتاً ..

اصرف النظر عن هذا الزواج .. واقطع علاقتك بالمرأة .. وبكل النساء .. واقض بضعة شهور فى صوم وتفكير .. حتى تستعيد شهيتك الطبيعية .. وإقبالك على الحياة .. وأشواقك القديمة ..

إن أسوأ ما يفعله المحب بعد صدمة عاطفية أن يمضى فى علاقاته .. إن مرارة الفشل تغير طعم الحياة فى فمه .. وتشوه أحكامه دون أن يدرى فتصبح كل علاقاته مريضة يسكنها الحقد والشر ..

بعد المشوار الطويل الذى يقطعه القلب .. نحتاج إلى راحة طويلة .. تماماً كما نفعل بعد المشوار الطويل الذى نقطعه بأقدامنا .. فالعواطف كالدم واللحم ... والأنسجة تحتاج إلى وقت لتتجدد ..

٢٢

علم الإمكان

أنا سيدة جميلة فى العشرين من عمرى .. بدأت حياتى بطفولة تعيسة .. كان أبى غنيًا ولكنه بخيل جدًا .. شرس حاد الطبع .. يثور لدرجة القسوة . فيضربنا جميعًا ضربًا مبرحًا .. والعجيب أنه كان يضرب أمى .. والأعجب أنه كان يضرب أمه .. وألفاظه جارحة قاسية لأقصى حد .. يدخل المنزل مقطب الحاجبين .. ولا يلقى كلمة تحية .. فينزوى كل من فى البيت فى رعب ..

وكان أبى يضطهدنى أكثر من باقى إخوتى لأنى كنت دائمة الرسوب .. ولم يكن يعلم أنى أرسب بسببه .. وبسبب الرعب الذى وضعه فى قلبى ..

وسافر أبى إلى بلد بعيد فى إحدى السنوات .. فبدأت أنجح فى المدرسة وأتفوق وأطلع الأولى .. وأحببت المدرسة .. ومرت سنتان .. وأنا على تفوق ونجاحى .. ثم بلغت السادسة عشرة وبدأ الخطّاب يتقدمون لى وأبى يضغط علىّ لأتزوج .. وكنت أسمعه يقول : إن البنات نكبة على الحياة ، وإن الزواج هو الحل الوحيد للخلاص منهن .. وكان أحيانًا يشتمنى .. ومرة يضربنى .. ومرة أخرى هددنى بالقتل إذا لم أتزوج .. وأمى كانت فى هذه الأحداث بين نارين .. فهى تعطف علينا .. ولكن ما باليد حيلة .. وهكذا وجدت نفسى مجبرة على الزواج ..

وصدقنى ؛ لقد ألقوا بى كما يلقون بكلب فى الشارع ، ووجدت نفسى مع رجل طيب يحبنى ويعبدنى ويغار علىّ ، ولكنه بخيل وسمج لا يعرف الذوق فى

ألفاظه ولا فى معاملته ، دائم النقد لكل الناس .

وبرغم أن زوجى كان أكثر عطفًا من أبى إلا أنى كنت أسعد حالا فى المدرسة .. كانت لى هوايات وأمارسها .. وكانت لى شخصية .. وكانت لى أحلام .. كنت أحلم بأن أجرب الحب .. وأذوقه .. ولكنى كنت أخاف من الحبس فى البيت والضرب والقتل ..

أما الآن فإنى أشعر أن حياتى انتهت .. لم تعد لى هوايات .. ولم أعد أتمتع بالجلوس مع صديقاتى .. ولم أعد أجد لذة فى ثرثرة زمان .. فقدت صبرى .. وفقدت آمالى .. ولم أعد أطيق شيئًا ..

الشىء الوحيد الذى أصبحت أحبه هو الخروج ، بشرط أن أكون وحدى .. أسير فى الشارع .. ترن فى أذنى الموسيقى .. ولكن زوجى لا يحب الخروج .. ويلازمنى فى كل خطوة ..

إن زوجى عبء .. عبء فظيع .. وأولادى عبء .. وبيتى عبء ..

لا تقل لى .. أحبى زوجك .. فهذا مستحيل .. لا تقل لى اشغلى نفسك بهواية .. أو دراسة ..

إنى أشعر بهبوط فى نفسى باستمرار .. وهبوط فى جسدى .. وصداع أليم .. وعجز عن كل شىء ..

لا تبخل علىّ برد سريع ، أرجوك .

أنا الأخت الصغرى لصاحبة الرسالة .. وقد أعطتنى رسالتها لأقرأها قبل إرسالها إليك .. وقالت لى إنها لا تشعر أنها رسالة مقنعة .. ولكنها لا تقوى على الكتابة أكثر من ذلك ..

والواقع أن أختى حالها أفظع بكثير مما وصفت لك .. إنها ساخطة ..

شاردة .. منهوكة القوى دائمًا كأنها خارجة لتوها من عمل مرهق .. كانت عاطفية .. ولكنها الآن تهرب من العاطفة .. ولا تطيق سماع أغنية فيها عاطفة .. إنها تريد الهروب من كل ما يمت لواقعها بصلة ..

إنى قلقة عليها كثيرًا .. وخصوصًا أن صحتها فى تدهور .. لا تنصح لها ياسيدى بالطلاق .. لأن لها أولادا صغار من زوجها .. ووالدى كما وصفته لك .. لا يحب أحدًا .. ولا يطيق مجرد إنسان معه فى المنزل حتى ولو كان ابنته أو ابنه ..

وليس لديها الصبر لتكمل دراستها أو لممارسة أية هواية .. لا شىء تفعله الآن سوى الشرود .. والشرود فى لاشىء ..

أتمنى أن تساعدها ..

* * *

سيدتى ..

أنت سجينة فى بيتك .. ولكنك قد سجنتنى أنا أيضًا فى أفكارى .. وكتفت يدى .. وجعلت كل الحلول غير ممكنة .. وغير مقبولة ..

وحينما يحاط الإنسان بعدم الإمكان من كل طريق وتسد عليه المنافذ .. لا تبقى له إلا بطولة واحدة .. هى بطولة الخضوع .. والاحتمال ..

وعزاؤك أننا جميعًا مثلك إلى حد ما .. أبطال قصة مفلسة فاشلة .. نهايتها الموت .. برغم كل أحلامنا وآمالنا .. كلنا نذبل على فروعنا .. ونموت عطشًا .. والماء حولنا .. والشمس فوق رءوسنا .

اكتبى قصتك على فصول طويلة .. فأسلوبك جميل .. وأنا أحب أن أقرأ شيئًا عن الصعيد .. كيف يعيش هناك الناس .. ويفكرون .. ويحلمون .. ويموتون ..

٢٣

بالمصادفة

أنا شاب فى العشرين .. فى كلية الهندسة بالإسكندرية .. مرح .. بسيط .. منطلق .. وإن كنت فى داخلى أعانى فراغًا عاطفيًا هائلا .. وليس معنى هذا أنى أعيش فى عزلة .. لا أعرف النساء ولا أقربهن .. فالحقيقة أن لى صولات وجولات فى عالم الغرام .. ولى خبرة بالنساء يحسدنى عليها الكثيرون ..

تعودت هذا الصيف أن أذهب وحدى كل مساء إلى محل عام وأجلس على مائدة لا تتغير .. أتناول عليها قدحًا من الشاى واللبن ..

وفى مساء يوم منذ شهر تقريبًا دخلت إلى المحل سيدة سارت بين الموائد واتخذت لها مكانًا .. بالمصادفة المحضة .. بجوارى .. وطلبت .. بالمصادفة أيضًا .. قدحًا من الشاى واللبن ..

سيدة لم تتجاوز الثلاثين .. كل مافيها يجبرك على أن تحترمها .. نظراتها الهادئة .. مشيتها المتزنة .. وتصرفاتها الرزينة .. ومظهرها الذى ينم على أنها فاضلة .. جميلة .. وأنيقة ..

وكعادتى .. لم أهتم بها .. أو بمعنى أصح تظاهرت بأنى مشغول عنها معتقدًا أنها لابد فى انتظار شخص ما .. رجل أو امرأة .. وبعد حوالى الساعة نادت الجرسون وأعطته ثمن ما تناولت وانصرفت ..

فى المساء عند نومى لم أعلق للأمر أهمية .. بل لم أذكره كلية ..

وفى نفس الموعد فى اليوم التالى أقبلت السيدة واتخذت مكانها بجوارى

وتناولت الشاى واللبن .. ولم يحضر أحد لمقابلتها .. وبعد ساعة انصرفت ..

وتكرر حضورها يوميًا وبدأت نظرتى تفضحنى .. وبدأت السيدة تلاحظ ذلك ..

وبعد أسبوع .. وبعد أن اتخذت مكانها بجوارى .. تقدمت إليها وعرضت عليها أن نتناول الشاى على مائدة واحدة .. ولم أكن أتوقع أن توافق .. ولكنها وافقت فى الحال .. ويومها كنت أسعد مخلوق .. وتبادلنا حديثًا بسيطًا لا أثر فيه للغرام أو عبارات الإعجاب .. وانصرفنا على أن نلتقى غدًا ..

وتقابلنا .. وعرفتها .. وعرفتنى .. وتكرر لقاؤنا حول أقداح الشاى نتناول حديثًا كله بساطة ..

ثم بدأنا نتمشى معًا كل ليلة على الكورنيش .. يدها فى يدى .. نتهامس ونتحاكى .. وكنت أحيانًا ألمس خدها بخدى فيحمر وجهها فى خجل وتنظر إلى فى عتاب .

وعرفت عنها حينئذ كل شىء .. إنها متزوجة .. تعيسة فى زواجها .. فزوجها يكبرها بعشرين سنة ، بخيل ومختل العقل ، يعاملها بقسوة ويضربها ويشتمها بألفاظ مقذعة .. حكت لى هذا وهى تبكى .. وقالت إنها بالرغم من كل هذا لن تخونه .. لأن ضميرها لا يطاوعها .. أن تفعل هذه الفعلة الشنيعة .

ومن يومها وأنا لا أنام ..

طيفها وخيالها يطاردانى فى كل لحظة .. وقلبى يعذبنى .. وضميرى يؤنبنى لأنى أغريها بصداقتى على علاقة لا ترضاها ..

أحس أنى ذئب .. وأنها إنسانة طيبة وديعة .. ألقتها المصادفة بين يدى ..

ماذا أفعل .. إنى أعيش فى قلق دائم .. عذاب ..

لقد فتحت الكليات أبوابها منذ أيام وسافرت إلى الإسكندرية .. وافترقنا بعد أن تواعدنا على اللقاء ..

ولكنى أعيش فى سرحان وشرود دائم .. أفكر فيها وأتذكر كلماتها وضحكاتها ..

مانهاية هذا الحب ..؟ الزواج ..!! وكيف أتزوجها وهى متزوجة ؟

إن الشعور بالإثم يقتلنى .. ووجهها البرىء الفاضل التى يطاردنى فى كل مكان ..

ماذا أفعل .. وأنا بين نارين .. حبى .. ودراستى .. ؟

* * *

تستطيع أن تريح نفسك من هذا الشعور القاتل بالإثم .. فلا أظن أن الأمر حدث بالمصادفة كما ظننت ..

ليست المصادفة هى التى جاءت بها على الكرسى بجوارك .. ولا المصادفة هى التى جعلتها تطلب الشاى باللبن مثلك ..

ولا المصادفة هى التى جعلتها توافق فى الحال على مشاركتك المائدة .. وتؤنسك بحديثها المهذب الرزين .. ووجهها البرىء الفاضل التى ..

لم تكن ذئبًا محنكًا كما ظننت نفسك .. وإنما أنت فى الغالب الصيدة .. وهى الصياد ..

هذا مع احترامى لخبرتك وجولاتك وصولاتك فى عالم الغرام ..

وقصة الزوج الذى يكبرها بعشرين سنة والعقل المخبول .. والقسوة والضرب .. والألفاظ المقذعة .. هى فى الغالب حكاية لاصطياد احترامك شفقتك .. وإسباغ ثوب من الشرعية على هذه العلاقة .. حتى تنمو وتقوى

أكلها .. وأنت طبعًا أكلها .. ياعزيزى الذئب الغلبان .

احتفظ بعواطفك لمناسبات أخرى .

وفكر فى مستقبلك ودراستك .. ولا تضيع وقتك .. فهى لا تضيع وقتها مثلك .. وأغلب الظن أنها الآن فى القاهرة تشرب الشاى واللبن مع ذئب آخر خبير فى النساء مثل سيادتك .. بالمصادفة .. طبعًا كالمعتاد ..

٢٤

الأسلوب المناسب

منذ ثلاث سنوات وأنا أحبها وتحبنى .. ونتحادث يوميًا بالتليفون .. ونخرج معًا مرة أو مرتين كل شهر فنذهب فى نزهة بريئة إلى إحدى الضواحى ..

لم نتجاوز هذه الحدود قط ..

ثلاث أو أربع مرات فقط أوصلتها إلى البيت . وضغطت على يدها ضغطة خفيفة ، ومرة واحدة أمسكت بيدها وطبعت على ظهرها قبلة .. فردتنى بلطف وأدب وأفهمتنى أنها لا تحب هذا الأسلوب وأنها ليست من ذلك الصنف من البنات الذى تستهويه هذه الأمور .. وأنها إن كانت تخرج معى وتحادثنى فى التليفون فإنما تفعل هذه للمرة الأولى فى حياتها .. وعلى حساب أعصابها ..

ومن يومها لم أكرر هذه المحاولة وصدقتها .. واقتنعت ..

هى آنسة فى العشرين أو جاوزتها قليلا .. خريجة جامعة القاهرة .. تشغل فى الوقت الحالى وظيفة جامعية .. على درجة كبيرة من الجمال .. تمتاز كباقى أسرتها بالطيبة والهدوء والسمعة الحسنة .. وهى موضع احترام الجميع ..

أما أنا .. فشاب جامعى فى الخامسة والعشرين .. أشغل إحدى المهن الحرة .. عادى فى كل شىء .. عرفت قبلها كثيرات ومارست معهن كل أنواع الهوى والحب .. أعرف فى الوقت الحالى فتاتين غيرها .. أزاول معهن حماقات شباب بقدر معقول .. وبدون ارتباط مع أيهما بشىء .. أحب صاحبتى جدًا .. وأنتوى الزواج بها هذا العام .. فما رأيك .. ؟

مارأيك فى هذا الحب الذى ظل أفلاطونيًا طيلة هذه السنوات الثلاث .. ؟

إن أصدقائى يقولون لى .. أنت عبيط .. خيبة .. مش عارف توصل .. دى عاملة ثقيلة ومؤدبة عشان تتجوزك ..

واقرأ فى القصص .. عن القبلات .. والأحضان .. وعن الفتاة التى تحتقر صاحبها لأنه يخاطبها بأسلوب عذرى ..

هل صحيح أن كل المتمنعات كاذبات وممثلات ؟

ألا يجوز أن تكون هذه الفتاة صادقة فعلا .. وعفيفة فعلا .. وتريد فعلا أن تحتفظ بأجمل مافى الحب لما بعد الزواج ..

أجبنى بصدق أرجوك .. ولا تحاول أن تطيب خاطرى ..

* * *

واضح من كلامك وحسب قولك . أنك عرفت بنات كثيرات مارست معهن كل أفانين الهوى والحب .. وأنك حاليًا تعرف فتاتين فى وقت واحد تمارس معهن حماقات شبابك ..

ومعنى هذا .. أن الشيء الوحيد الذى رشح صاحبتك للزواج فى نظرك .. أنها رفضت أن تكون مثل الأخريات .. هذه رخصة الزواج الوحيدة فى نظرك ..

وهذا يكشف عن أزمة البنت العصرية .. إن صاحبها يحدثها عن التحرر .. والعقلية العصرية .. وحق التمتع بالحب .. إلخ .. إلخ .. ثم يغدر بها فى النهاية ولا يتزوجها إذا طاوعته فى هذا التحرر .. وينكشف لها فى النهاية عن نصاب رجعى أشد رجعية من جدها .. يطالبها بالعفة إلى آخر حدودها .. ومعنى هذا أن المشكلة بالنسبة للبنت الآن لم تعد مشكلة كذب وصدق ..

وإنما أصبحت مشكلة اختيار السلوك المناسب ..

والسلوك المناسب مع أمثالك هو أن تتصرف صاحبتك بالضبط كما تصرفت .. لأنها لو تهاونت لحظة فى أى شيء .. لضممتها إلى طابور الفتيات اللاتى تمارس معهن حماقات شبابك ..

ليست المشكلة هى مشكلة تمثيل .. أو تصرف على الطبيعة .. لأن ٩٠٪ من الرجال محتالون لا يتصرفون على الطبيعة .. وإنما يدعون حريات لا يؤمنون بها فى أعماق نفوسهم ..

هناك عملية كذب عام شامل منظم بين الرجال .. لا تجد البنت أمامه مفرًا من الاحتيال ومواجهة كل ظرف بالأسلوب الذى يناسبه ..

تزوج صاحبتك .. ولا تتساءل .. فليس لك الحق فى هذا التساؤل ..

إن صاحبتك هى الوحيدة التى فهمتك .. وكشفتك ..

ولكنى الآن وقد تغيرت من حولى الدنيا .. أحس أنى غريبة فى عالم غريب .. عالم ملىء بالثرثرة والغرور والحب والإلحاد والثورة ..

بناتى وصبيانى الذين ربيتهم ومنحتهم شبابى وعمرى .. ينظرون إلىّ كأنهم ينظرون إلى تحفة أو أنتيكة .. ويسخرون منى لأنى لا أفهم فى الوجودية والسياسة والحب .. ويضحكون علىّ ..

لقد انتهت دولتى .. ومطبخى الصغير احتله الطاهى .. ولم يبق لى سوى البكاء فى صمت إلى جوار النافذة ..

كنت أطمع فى شىء واحد .. هو التقدير .. ولكن حتى هذا لم أحصل عليه ..

كم أنا تعسة ..!!

* * *

أيتها الأم الكبيرة ..

إن بناتك اللاتى يقرأن فى الوجودية .. والسياسة والحب .. لا يفهمن شيئًا من السياسة ولا من الحب .. ولسن جديرات بأن يكن خادماتك ..

أنت الحب يا أماه .. وأنت الشرف والواجب والتضحية والفضيلة ..

لقد ارتضيت أن تكونى الضريبة على الأجيال الجديدة .. الضريبة الفادحة على رأسمالية العلم والثقافة والحرية .. التى تسلمها الرجال خالصة من يديك ..

إن كل هذه الثرثرة والمعارف هى بعض من فتات موائدك ..

فإن كنت وجدت العقوق من أبنائك .. فاغتفريه .. فهذه خلة الأنبياء أمثالك .. وكفاك إحساس المرأة التى خلقت شيئًا عظيمًا ..

إنى أنحنى احترامًا لك .. وأقبل يديك يا مريم الطاهرة ..

٢٥

كوبرى السعادة

أنا آنسة فى الستين .. عشت حياتى الطويلة المريرة كالكوبرى الممدود عبر ثلاثة أجيال .. لم أعرف الحب .. ولا الزواج ..

فى العاشرة كنت أحمل أخى الطفل وأغنى له .. وفى الثلاثين كان الطفل قد كبر وتزوج .. فحملت أطفاله .. والآن وقد كبر أطفال الأطفال .. وتزوجوا .. بدأت أستقبل على صدرى الهضيم الضامر . أبناءهم لأعبر بهم السنين الباقية من حياتى ..

أنت لا تعرف معنى أن تعيش على الشاطئ .. وتقضى فى الحرمان ستين عامًا .. وأنت عطشان .. لا يمكن أن تعرف هذا لأنك لم تجربه فأنت رجل ..

وفى صباى كانوا يقولون إن الرجال خُلقوا للشارع والمدرسة . والنساء خُلقن للمطابخ ..

وكان أبى المتوسط الحال يحلم بتربية أولاده فى الجامعة .. وكان ثمن الحلم بعد أن ماتت أمى أن أظل فى البيت لا أبرحه . أطبخ وأغسل وأمسح البلاط .. لأوفر ثمن خادمة وطاهية وغسالة .. وأعاون أبى فى تحقيق حلمه الكبير ..

كنت الثمن الذى دفعه جيلنا من لحمه ودمه .. لتدخلوا الجامعة وتتعلموا .. وتقولوا للعالم .. نحن الرجال ..

وقد كنت سعيدة بهذه التضحية ..

كنت أمًا عذراء لأجيال ثلاثة تربوا على صدرى ..

٢٦

النضج المبكر

أنا فتاة فى السادسة عشرة .. فى المرحلة الثانوية .. محبوبة من كل من حولى .. حساسة جداً من الناحية الدينية . فأنا مثلا أتمسك بالصلاة وبقراءة كل ما يكتب عن الله والأنبياء . وكنت أصاب بحالات من البكاء والعصبية والرعشة بعد ليال أقضيها فى الصلاة والدعاء .. ولكن هذه النوبات قلت الآن كثيراً .

أحب السحاب الأبيض وأبكى عند رؤيته .. وأحب القمر .. والمطر .. وأحلم بالملائكة والآخرة وأقضى الساعات الطويلة فى قراءة القرآن .. ولكنى للأسف الشديد لا أعتقد أنى مؤمنة إطلاقاً فكثيراً ما كنت أفكر وأنا فى وسط صلاتى أنه قد لا يكون هناك إله ..

لا أعرف إن كنت أحب الناس أم لا .. ولكنى أشفق عليهم إلى حد غريب وأخاف على شعورهم لا أكثر ..

أغلب أصدقائى من شبان عائلتنا يفضون إلى بأسرارهم .. ولما كنت من البداية على استعداد للتطبع بطبعهم فقد أصبحت تصرفاتى رجولية إلى أبعد حد .. فمثلاً لا أستطيع أن أضحك دون جلجلة .. ومشيتى عسكرية .. وتفكيرى خشن فظ كتفكير الرجال .. ولا مانع عندى من اقتحام أسرار أى شاب دون خجل .. وأغلب وقتى أقضيه منطوية مع الكتب ..

بدأت مشكلتى عندما لاحظت أنى أصبحت أحلم كل ليلة أكثر من عشرة

أحلام ملخصها جميعاً .. أنى لست عذراء ..

وتطورت الأحلام فأصبحت أحلم أنى عارية تماماً أمام والدى .. وأن والدى ينظر إلى نظرة حنان غريبة .

وبدأت أتعقد من ناحية والدى .. بدأت أفكر أنى شاذة .. وأخاف من شذوذى ..

وبمرور الوقت ضاعت المشكلة تاركة وراءها شعوراً غريباً ناحيته .. وأقول ضاعت المشكلة لتبدأ غيرها .. فقد بدأت أشعر بنفس الشعور تقريباً ناحية أخى الصغير .. فكنت أخاف من أن ينام جانبى .. وأستيقظ أكثر الليالى فزعة مشمئزة عندما يلمسنى بيده مصادفة . وبدأت أشعر بالنفور منه وأنام فى مكان آخر !

والآن .. أو بالأصدق .. منذ حوالى ثلاثة أيام تقريباً .. انتبهت لنفسى وأنا أفحص زميلاتى فى المدرسة . وأقول تلك جميلة جداً .. وهذه حلوة .. وهؤلاء مقبولات .. إلخ .. إلخ .

و.. وعادت مشكلتى من جديد .

هل أنا شاذة .. هل من الممكن أن أرتكب هذه القذارات ..

بالأمس كانت ستنام أختى الصغيرة بجوارى .. فهربت من الفراش لأنام على الأرض .. وأمضيت الليل فى خوف ودوار وابتهال إلى الله .

أنا الآن أفكر فى الموضوع وأتساءل .. هل أنا واهمة ؟.. هل السبب كثرة انطوائى وتفكيرى فى نفسى ؟.. هل لأنى بعدت تماماً عن جو الفتيات ؟ أم أن السبب هو شدة خوفى من الخطأ .. أم أنى شاذة حقاً ؟ ولم ؟!.. ولم أفعل أى شر أو أذى لمخلوق .. هل الله يكرهنى لأنى كفرت به .. ؟

وسأحاول مساعدتك .. فأنا لا أعتبر نفسى جميلة .. وأنا خجولة وحساسة جدًا .. وجياشة العاطفة .. وأقول لك حادثة قد تساعدك ..

فقد حدث لى وأنا صغيرة جدًا أن فعلت معى فتاة كبيرة شيئًا قبيحًا .. مازلت أذكره بالرغم من صغر سنى وقتها وذلك لغرابة الأمر بالنسبة لى ..

هذه مشكلتى .. وهى مشكلة تتفاقم معى يومًا بعد يوم ..

وأشعر بأنى أكره نفسى .. وبأنى أود تعذيب نفسى .. ولا أعرف لهذه الآلام نهاية ..

أرجوك لا تحتقرنى ..

* * *

أنا لا أحتقرك .. وإنما على العكس .. أنا أشعر أنك إنسانة فاضلة وعلى درجة غير عادية من النضج والوعى بالنسبة لسنك .. فأنت أكبر من سنك بكثير .. ولديك قدرة على استبطان مشاعرك واستجلائها لا يبلغها الكثيرون ممن هم أكبر منك من الرجال أو النساء ..

ومشكلتك الحقيقية كانت فى هذا الوعى والنضج المبكر .. وفى الحساسية المفرطة التى تستقبلين بها كل حدث .. حتى إنك لتبكين لرؤية السحاب الأبيض .. وترتجفين لرؤية القمر .

ومثل هذه الحساسية أمام حادث خشن كالذى حدث لك حينما اعتدت عليك فتاة وأنت صغيرة اعتداء فاضحًا .. مثل هذا الحادث .. كان كفيلا بأن يقلب حياتك .

أنت منذ تلك اللحظة تحاولين أن تكونى رجلا حتى لا يتكرر عليك مثل هذا الاعتداء .. فمشيتك وضحكتك المجلجلة هى ضحكة الرجل .. وبالمثل

مصادقتك للرجال والحفاظ على أسرارهم .. وبالمثل نظرتك إلى البنات زميلاتك وملاحظتك أن هذه جميلة جدًا .. وهذه حلوة .. وهذه مقبولة .. وهذه شفتاها مليئتان .. إلخ .. إلخ .. هى نظرة رجل ..

وخوفك من أن تنام أختك الصغيرة فى حضنك هو خوف من أن تتكرر هذه الحادثة .. وأحلامك بأنك لست عذراء .. هو خوف نبع من تلك اللحظة المشئومة .. فأنت تخشين أن تكونى قد فقدت عذريتك من تلك اللحظة ..

وأحلام التعلق بالأب والأخ .. قد تكون معناها أن الأب والأخ هما نموذجك للرجل الذى تريدين أن تكونى على مثاله .. وقد تكون هى المرحلة الوجدانية الطبيعية التى قال عنها فرويد .. وهى المرحلة التى تتجه فيها عاطفة البنت إلى أبيها وأخيها .. وهى مرحلة عابرة .. تنطلق بعدها العاطفة حرة لتبحث عن أليفها بين الرجال الآخرين ..

أما سر العذاب الذى يطحنك فهو أن جميع هذه الحلول التى لجأ إليها عقلك الباطن هى حلول غير سليمة .. فأنت لست رجلا .. أنت امرأة .. فياضة الأنوثة جياشة العاطفة ..

والسلوك الرجولى الذى تخيله عقلك الباطن مرفأ أمان .. كان بالنسبة لك إهدارًا لطبيعتك .. وضياعًا لحقيقتك .. وهذا سر عذابك ..

وأيا كانت المشكلة فقد هدتك نظراتك السليمة إلى معرفة السبب .. ووضعت يدك على العلة ..

ولهذا فإن شفاءك من هذه الأمراض العصبية أكيد ..

وسوف تستعيدين مرحك وحبك للحياة . فإن المعرفة هى مفتاح الشفاء النفسى ..

٢٧

دلوع

أنا شاب فى الثالثة والعشرين من عمرى تبدأ مشكلتى منذ عام ١٩٥٦ يوم حصولى على التوجيهية .. وكان حلمى فى ذلك اليوم أن ألتحق بكلية البوليس .. وأصبح ضابطًا .. ولكن الظروف خيبت أملى .. وألقى بى مكتب تنسيق الجامعات فى كلية نظرية بالاسكندرية ..

وانتقلت إلى المدينة .. واتخذت سكنًا إلى جوار الكلية .. وشاركنى فى سكنى زميل من البلد .

وفى الأسبوع الأول من إقامتنا رأيت زميلى يدخل البيت وفى يده امرأة من الطريق .

وتشاجرت معه .. وحاولت أن أطرد المرأة .. واشتد بيننا الخلاف .. ثم اتفقنا على أن يغلق بابه ويفعل ما يشاء .. على أن تكون هذه أول وآخر مرة .

وشتمته فى ذلك اليوم بأقذر الألفاظ .. قلت إنه سافل وعاهر وداعر .. وإنى برىء منه إلى يوم القيامة ..

وأغلقت بابى .. وجلست أغلى من الغيظ .. وأستغفر الله ..

ومرت ساعة ..

ثم بدأت أتسمع الأصوات والحركات فى غرفته ..

ومرت ساعة أخرى .. قمت بعدها وأنا أتصبب عرقًا .. وطرقت الباب .. ثم دخلت فى خجل لأعتذر له وأطالب بنصيبى فى الغنيمة

ومن ذلك اليوم تغيرت حياتى كلها ..

تعلمت التدخين حتى أدمنت بشراهة .. شربت الخمر وعرفت البارات الرخيصة .. دخنت المخدرات .. ذقت كل أنواع الهلس .. مع المومسات .. والخادمات ..

وكانت النتيجة طبعًا أنى رسبت بدرجة ضعيف جدًا .

ولم أخبر أسرتى حتى لا يقطعوا عنى النقود ولكن أمى عرفت وعاتبتنى .. فأجبتها ثائرًا .. إنى سوف أترك الدراسة .. وأبحث عن عمل .. وإنى لا أريد منهم مليمًا .. وكانت النتيجة أنها بكت .. وقبلت رأسى .

وتوسلت إلىَّ أن أعود إلى دراستى .. وتعهدت لى أن تدفع لى مصروفاتى .. وكل ما أطلبه .. وأقسمت ألا تخبر أبى بشىء .

وعدت إلى دراستى .. وهذه المرة أجرت شقة لوحدى . وتوسعت فى الهلس وبالطبع رسبت للمرة الثانية .. وكالعادة لم يعرف أبى ..

وفى هذا العام تركت شقتى .. وسكنت فى بنسيون تملكه امرأة إيطالية وحاولت أن أنسى فشلى ورسوبى .. بالإغراق فى الخمر .. وبالإغراق فى معاشرة الإيطالية صاحبة البنسيون التى تعدت سن الأربعين ..

والمشكلة الآن أن أبى يعتقد أنى فى السنة الثالثة .. وباقى لى على الليسانس سنة واحدة يتيمة .. وهو يعد العدة ليفرح بى ..

خطب لى بنت رجل غنى جدًا .. واشترى لى سيارة ليقدمها هدية لى على نجاحى .. وهو ينتظر يوم السعد .. يوم تخرجى ..

وأبى رجل طيب حج سبع حجات .. وأمى لا تستطيع أن تفجعه فى .. وأنا لا أستطيع أن أواجهه بالحقيقة . والحقيقة لابد ستظهر .. وأنا لا أعرف ماذا

أفعل .. أأنتحر .. أم أهرب من الدنيا كلها .. أم ماذا ؟!

* * *

ذاكر يأخي .. إن المذاكرة ليست مخيفة بالدرجة التى تفضل عليها الانتحار ..

إن أكبر خطأ ارتكبته أمك .. أنها بكت .. وقبلت رأسك .. وتوسلت إليك أن تعود إلى دراستك ..

كان يجب عليها أن تتركك تنفذ تهديدك .. وتعمل .. وتتشرد .. وتجوع على الأبواب .. وتتعلم الأدب .. وتحس بأن الحياة جد .. وتفيق من الهلس الذى أنت فيه ..

إن العلاج الوحيد للولد الدلوعة أن يحس بالمرمطة ..

أنت دلوع لدرجة أنك تلجأ إلىّ صارخًا .. الحقنى .. ياماما .. الحقنى .. الحقيقة حاتعرف .. الحقنى يابابا ..

لا توجد قوة فى الأرض تحميك من الحقيقة .. إن مشكلتك ليست سنواتك التى ضاعت .. ولكن سنواتك القادمة التى ستضيع حتمًا .. إذا واجهت الدنيا بهذه العقلية ..

هناك مصلحة فى أن تظهر الحقيقة .. وأن تصدم ..

أنت فى حاجة إلى صدمة .. وقسوة .. وعنف لتفيق .. وإلا فأنت مقضى عليك ..

لن تصبح رجلا إلا حينما يطردك أبوك إلى الشارع ..

٢٨

لعنة الجمال

أنا فتاة فى العشرين .. من ذلك النوع الذى تفتح فمك حين تراه فى الطريق وتتوقف مأخوذًا ..

شعر يتماوج كالذهب .. وجه أبيض وردى .. عيون زرق .. فم دقيق .. قوام باريسى ..

حينما سرت فى الشارع .. تتبعنى الشهقات والتأوهات .. وكلمات الغزل .. وتلتف الأعناق حول نفسها حتى تكاد تتخلع من أكتافها ..

حياتى كلها كانت كلمة واحدة لاحقتنى من أبى وأمى وعائلتى وممن يعرفوننى وممن لا يعرفوننى .. إيه الحلاوة دى يابنت .. إيه الجمال ده .. إيه السحر ده ..

لا أحد حاول أن يسمعنى .. لا أحد حاول أن يفهمنى .. كلهم كانوا يتفرجون علىّ ويقلبوننى بين أيديهم كالدمية ..

لم أشعر فى أى لحظة أنه ينتظر منى شىء أو يطلب منى شىء .. أو أنى إنسانة لى عقل ولى قلب مثلما لى وجه وقوام ..

كان أبى يعنف أختى حينما ترسب ويلاحقها بالمدرسين ويغريها بالمذاكرة .. أما أنا فإنه كان يضحك حينما أرسب كأنه قد حدث شىء يتوقعه .. ويربت على كتفى ويقول فى سعادة .. إنتى قمورة .. مدارس إيه ؟!.. إنتى تقعدى فى البيت زى الملكة والدنيا تجرى وراكى .. والعرسان يبوسوا إيديكى ..

وحينما كنا نجتمع كلنا ونتحدث .. كان أبى يتناقش مع إخوتى ويدخل فى

معركة كلامية حامية مع كل فرد إلا أنا ، وكأنما التفكير كلفة غير طبيعية بالنسبة لى .. وحينما كنت أحاول الكلام .. كان يردنى برقة قائلاً .. عاوزه تقولى إيه ياملكة ، إنتى تأمرى بس .. إنما الرغى ده للفراشين اللى زينا ..

وفى اللحظات التى كنت أنطق فيها بملاحظة ذكية .. كانت تفوت على الذى يستمع إلىّ ، لأنه كان منهمكًا فى التطلع إلى وجهى وقد نسى كل شىء ..

لم يكن أحد ينظر إلى بأكثر من أنى زينة .. مجرد زينة .. ليس لها أن تقوم بأى دور جاد .

وبدأ يداخلنى شعور بالتفاهة والهيافة فلا أحد يشركنى فى همومه .. ولا أحد يوكل إلى بسر يخشى عليه أو بعمل يحرص عليه .. وإنما أنا بمثابة لحظة التسلية بالنسبة للجميع ..

وكان طبيعيًا أن أفشل فى دراستى وأن أترك المدرسة وأبقى فى البيت .. ثم أتزوج وأنا صغيرة ..

وكان زواجًا تعيسًا .. أتعس ما فيه جمالى .. فزوجى لا يصحبنى فى خروجى ، لأن جمالى فضيحة تلفت النظر فى كل طريق .. وهو يسجننى فى البيت لأنه يغار علىّ .. وهو يشك فى سلوكى .. وهو يفقد ثقته بنفسه كلما ازداد إحساسًا بجمالى ، وبالتالى يشعر بعجزه عن أن يحكمنى فيزداد فى شكه وغيرته وقسوته .. ويزداد فى إسرافه لكى يرضينى بالملابس الباهرة والجواهر .. وأزداد أنا إحساسًا بالتفاهة وأزداد شقاء ..

حتى بطاقات الدعوة التى كانت تأتينا فى أفراح الأصدقاء كان ينظر إليها فى شك وريبة وقد خيل إليه أن صديقه يدعوه من أجل أن يرانى لا من أجل أن يراه هو ..

وكان من الطبيعى أن ينتهى مثل هذا الزواج بالفشل والطلاق وأنتهى أنا إلى حالة من اليأس لا ينفع فيها علاج ..

إن جمالى كان لعنة علىّ ..

إنى أتمنى الآن أن أفتح عينى فأجدنى قبيحة ..

إن إحساسى بجمالى أصبح مثل إحساس الغنى الذى يظن أن كل من يحبه .. يحبه من أجل ثروته لا من أجل شخصيته .. نعم .. أنا أيضًا يخيل إلى أن لا أحد أحبنى لشخصى .. وإنما جميعهم أحبوا فىّ صورتى وهذا يعذبنى .. ويشعرنى بتفاهة شخصيتى ويحرمنى من لذة احترامى لنفسى ..

لقد بدأت أعتقد أنه لا سبيل إلى السعادة .. أبدًا .. فالثروة تشقى .. والجمال يشقى .. والحب يشقى .. والعقل يشقى .. أين السعادة إذن .. وأين أجدها .. ؟

* * *

السعادة ليست فى الجمال ولا فى الغنى ولا فى الحب ولا فى القوة ولا فى الصحة .. السعادة فى استخدامنا العاقل لكل هذه الأشياء ..

إن رؤية عقلك وهو عاطل .. وإحساسك بقلبك وهو عاطل ، وإدراكك لشخصيتك وقد عطلها جمالك وغباء الذين عرفوك .. هو سبب تعاستك .. لقد كنت تدركين طوال هذه السنوات أنك تعيشين بسطحك فقط .. بشكلك ومظهرك ..

كنت كالفستق الذى نسيه الناس وأكلوا القرطاس لأنه ملون جميل ..

كانت حقيقتك معطلة .. ومواهبك معطلة .. والسعادة هى أن نعيش كل لحظة .. بكل ما فينا ..

ولكنى لا أجد مايدعو إلى اليأس .. فما زلت فى العشرين .. فى بداية الطريق .. وحياتك مازالت حافلة بالفرص .. ويمكنك تصحيح مافات .

٢٩

جناية المهنة

منذ صغرى وأنا أحلم بأن أكون شيئًا مهمًا فى الدنيا.. مخترعًا.. أو فنانًا.. أو زعيمًا.

وفى مراهقتى أحببت جارتى التى كنت أراها واقفة فى النافذة.. وكنا نقف كلانا بالساعات فى النافذة ننظر إلى بعض ولا نتكلم..

وأرسلت لها أكثر من مائة خطاب كلها شعر.. وكنت أبكى فى فراشى كل ليلة..

ورسبت ثلاث سنوات بسببها.. ومع هذا لم يحدث بيننا شىء.. لم نتكلم.. لم نخرج إلى أى مكان..

وحينما علمت بنبأ خطوبتها وزواجها.. مرضت ولازمت الفراش شهرا كاملا.

وحينما قمت من فراشى حاولت أن أغرق همومى فى هواية الموسيقى، ودخلت معهد الموسيقى الشرقية لأتعلم الكمان فى أوقات فراغى.. ولكنى توقفت فى منتصف الطريق وأصابنى الملل من دراسة النوتة والسولفيج والمقامات.. واكتفيت بالتردد على المعهد كمستمع ومتفرج.

وفرغت من دراستى الجامعية.. وتوظفت.. وزوجنى والدى من بنت عمى..

ولا أستطيع أن أقول إنى أحب زوجتى.. ولا أستطيع أن أقول إنى

أكرهها.. ولكنى دائمًا أبحث عن سبب للنكد.. أنفجر مرة من الغيرة على سبب تافه.. وأصر مرة أخرى على مطالب بعينها لمجرد الإصرار ولمجرد التحكم.. وأتعلل مرة ثالثة بهفوة بسيطة فأخاصمها وأعتزل وحدى فى غرفتى حزينًا تعيسًا.. وأحيانًا أبكى وحدى فى موجة هذه التعاسة الوهمية..

وأنا أعمل الآن محاسبًا فى السكة الحديد.. وأعيش نصف يومى فى الأرقام والحسابات والدفاتر.. وقد بدأت هذه الحياة الجافة تؤثر فى أعصابى.. وبدأ الجفاف يتسرب من الدفاتر إلى أيامى كلها.. وجفت عواطفى.. وتحولت الدنيا فى نظرى إلى محاسبات وتبادل منافع، وماتت أحلامى القديمة.. وماتت أشعارى..

وأنا أتساءل أحيانًا فى ألم: أيمكن أن تجنى المهنة على صاحبها بهذه الدرجة؟..

لماذا أنا تعيس إلى هذا الحد.. ماذا أفعل؟!..

* * *

تساؤلك فى الحقيقة مضحك.. ومعناه أن الجزار يمكن أن ينظر إلى الدنيا على أنها جزارة.. وينسى ويقطع ورك زوجته ويعمل منه كستليته ويقول.. أنا تعيس.. ماذا أفعل أيمكن أن تجنى على مهنتى إلى هذا الحد.

والمهنة فى الواقع لا تخنق العاطفة.. وشعراء المهجر وهم أرق الشعراء عاطفة كانوا كلهم تجار..

ومشكلتك الحقيقية ليست مهنتك ولا زوجتك.. ولا حبك..

مشكلتك هى أحلامك..

كان حلمك منذ البداية أن تكون شيئًا .. أن تكون مخترعًا أو فنانًا أو زعيمًا .. ولم تستطع أن تحقق هذا الحلم فاكتفيت بأن تخترعه فى خيالك ..

قصة حبك كانت وهمًا .. اخترعته أنت من طرف واحد .. واخترعت كل ما فيه من أحزان ونكبات .

وقصة الموسيقى بدأتها بحماس الفنان وأنهيتها بخيال المتفرج الذى يكتفى بالوقوف فى قاعة البروفات يحلم ..

وكان لابد فى النهاية من أن تخترع لك زعامة وهمية لتحقق بعض أحلامك فبدأت تفتعل الأزمات فى بيتك لتثير الشغب .. ولتصدر الأوامر .. وتحكم .. وتحكم ..

وفى النهاية اخترعت عذرًا تسند إليه كل فشلك .. وهو مهنتك الجافة التى سلبتك عاطفتك .. وقتلت أشعارك العظيمة فى مهدها ..

وقصتك تذكرنى ببطل فى إحدى مسرحيات أبسن كان يحلم بأن يكون صيادًا خطيرًا يصيد السباع فى الغابة ، وانتهى فى النهاية إلى رجل سكير يربى البط فى غرفة ، ثم يدخل ليصطاده بالبندقية .

والحل الوحيد .. هو أن تواجه حياتك وتفتح عينك على واقعك ..

٣٠

حكاية الكرامة

أنا طالب بكلية الآداب .. عمرى تسعة عشر عامًا .. تعرفت بفتاة جميلة جدًا وظريفة ، وصوتها أعذب من صوت شادية ..

من النظرة الأولى قلت لها .. أحبك .. وبينى وبينك قلت هذا لكى أبرز قبلانى .. ولكنها صدمتنى بقولها .. أنت كذاب وكلامك فاضى .. هو الحب كده لعبة فى بقك تقوله لكل واحدة .. وفى هذه اللحظة أحسست أنى مجرم وأنى أحتال لأوقع بفتاة بريئة فى شباكى .. وشعرت بفداحة ذنبى .. ومنذ تلك اللحظة بدأت أحبها بحق وحقيق .. وبكل جوارحى ..

ولا أنكر أنه كانت لى علاقات قبلها .. ولكن كلها علاقات على الماشى .. حب بالكلام فقط .. من أجل الوصول إلى لذات مؤقتة .. وأحيانًا كنت أنتفع من هذه العلاقات .. كانت إحدى جاراتى تبعث لى بأشهى مايحضره أبوها من فاكهة .. وأطيب ما تطهيه أمها من طعام .. وكنا نقضى معًا أوقاتًا سعيدة .. ثم أنسى كل شىء بمجرد أن أفارقها ..

أما هذه الفتاة فقد أحببتها جدًا .. وانشغلت بها ليلى ونهارى .. وغنت لى أغانى الحب والهيام .. مكسوفة .. لشادية .. علشانك أنت أنكوى بالنار والقح حتى .. ليلى مراد .. أول لقانا كان هنا .. باحلم بيك .. أغانى الحب كلها ..

ووعدتها بالجد والمذاكرة حتى أنجح ونتزوج .. وصرت أسهر حتى الثالثة صباحًا يوميًا للمذاكرة .. وفجأة انقطعت عن مقابلتى .. ومرت شهور وأنا على نار ..

وأرسلت إليها زميلة لى فى الكلية ومعها خطاب منى .

وعادت الزميلة لتقول إنها ستتزوج .. أبوها مصمم على أن يزوجها من يوزباشى .. وفى يومها حاولت الانتحار بابتلاع زجاجة إسبرين .. ولكنهم أنقذونى .. وزارتنى فى المستشفى .. وطيبت خاطرى .. وقالت لى إنى أخطئ كثيرًا بهذه التصرفات .. ونصحتنى بأن أكون عاقلا .. فكل ما بيننا لا يزيد على صداقة .. وليس هناك داع لهذا الجنون .

وحينما خرجت من المستشفى تأكدت أنها تحب هذا اليوزباشى .. وتقابله كل يوم .. وتريده زوجًا لها .. ولا دخل لوالدها فى المسألة ..

وشعرت بأنى أنهار .. وأتحطم ، وأفقد ثقتى بنفسى وأفقد كرامتى .

مزقت صورها لأستريح .. وأحرقت المنديل الذى أهدته لى وعليه طبع شفتيها .. ولكنى لم أستطع نسيانها ..

وفقدت مرحى وبهجتى .. وفقدت القدرة على المذاكرة .. وعلى النوم وصرت أسرح كثيرًا ..

كانوا يسموننى مهرج الكلية .. ولكنى الآن أسير كأنى أسير فى جنازة ..

هذه الفتاة طعنتنى فى كرامتى ... وشخصيتى ..

أفكر أحيانًا فى أن أضربها علقة ساخنة .. وأضرب اليوزباشى معها وأرسل إلى والدها الخطابات التى أحفظها عندى بخطها .. ثم أعود فأجبن لأنى أحبها .

حالتى النفسية قلقة .. وأخشى الرسوب هذا العام ..

أحيانًا أشعر برعدة وقشعريرة وأنا فى فراشى .. من فرط الأرق والتعب .. والعذاب النفسى ..

سيدى .. ماذا تسمى مثل تلك الفتاة .. ؟

الفتاة التى تعطى صورها لشاب وتغنى له أغانى الحب والهيام وتخرج معه .. ثم تجىء فى النهاية وتقول له .. هذه كانت صداقة . وتتركه وتحب رجلاً آخر وتتزوجه ..

ماذا تسمى هذا ؟!..

* * *

وماذا تسمى أنت ما يقوله ولد وغد يغازل جارته ويقول لها أحبك ويأكل الفاكهة التى يشتريها أبوها .. ويلهف الأطعمة التى تطهيها أمها .. ثم يذهب بكل بجاحة إلى فتاة أخرى ليقول لها أحبك . تزوجينى ..

أنت ولد عبيط وقد أخذت حقك من الأدب على يد صاحبتك ..

وأنت عبيط لأنك تجعل كرامتك وثقتك بنفسك فى مستوى لعب البنات ..

كلما خاصمتك البنت التى تحبها فقدت كرامتك وعزتك وقعدت تعيط .. وترتعش فى السرير .

وإذا كنت ناوى تفقد كرامتك مع كل أغنية من أغانى شادية .. يبقى مش حاتخلص ..

كرامتك حاتستحمل إيه .. والا إيه يابنى .. على مهلك شوية ..

٣١

الغولة

تزوجت فى سن مبكرة حينما بدأت أقتحم ميدان العمل .. كان هدفى الاستقرار والاستقامة .

تزوجت موظفة .. وفى بحر أسبوع دخلنا .. ولم تكن عندى فكرة عنها ..

ومنذ هذا اليوم وأنا أتعس إنسان فى الدنيا . انهارت آمالى .. لم أكن أتصور أن أتزوج امرأة بهذه الصفات .. امرأة لا هم لها إلا المشاجرة والسباب بألفاظ فاضحة .. إذا لم تتشاجر معى تشاجرت مع أولادها أو الخدم أو السكان أو أمها أو إخوتها ..

البيت الذى أثثته بأفخر الرياش حولته إلى اصطبل ينام فيه الذباب ..

عشت معها أكثر من عشر سنوات كانت حياتى معها عبارة عن سباب بألفاظ تجرح العفة .. ومشاجرات .. ومحاضر فى أقسام .. وتحقيقات فى النيابات .. وقضايا فى المحاكم .

حاولت إدخالى السجن بعد سنة من زواجى منها .. ذهبت إلى البوليس وادعت أنى سلبتها مجوهراتها .. وحررت محضرًا بهذا .. ثم أفرجت عنى النيابة بعد مبيت ليلة فى السجن .. لا يوجد أحد يطيقها ..

أهلها تبرءوا منها ولم يحاول أحد منهم ان يزورها خوفًا من لسانها ، والموظفون الذين يعملون معها يتحاشونها لسفاهتها .

ومع هذا عشت معها وصبرت على قرفها .. لأنها .. وإنصافًا للحقيقة .

برغم كل عيوبها .. امرأة شريفة ليست من ذلك النوع الخليع المتبرج من نساء هذه الأيام .. ليست هى الزوجة التى يعيش معها الزوج وعيناه فى وسط رأسه ..

كنت دائمًا وبرغم شراستها .. أعيش فى نعمة الاطمئنان على أن عرضى مصون .. ولن يطوله أحد ..

لم يوجد الرجل الذى استطاع أن ينظر إليها نظرة .. كده .. أوكده .

وأنت تعلم ماذا تعنى هذه الراحة بالنسبة للزوج . وخصوصًا فى هذه الأيام اللى يعلم بها ربنا .. هذه الأيام التى تخرج فيها الزوجات إلى الخياطة والكوافير وطبيب الأسنان .. والاسم مشاوير .. وهاتك يادواره ومسخرة فى شقق الرجالة العزاب .. والزوج الغلبان قاعد فى البيت بقرنين .. نهايته .. كان من الطبيعى أن أحتملها بكل قرفها .. وطبعها الحاد المشاكس وقذارتها فى سبيل راحة بالى ..

حتى جاء يوم ومرضت مرضًا خطيرًا

ونسيت كل ما سببته لى من آلام .. وفعلت المستحيل من أجل إنقاذها لتعيش لأولادها ..

ولم أبخل عليها بالمال ولا بالوقت ولا بالراحة ولا بالرعاية .

كنت أجوب القاهرة باحثًا عن الأدوية التى تلزمها . وكنت أحيانًا أسافر لأبحث لها عن دواء نادر .. حتى شفيت ..

ولكن طبعها ازداد حدة وعصبية .. وأصبحت تثور لأتفه الأسباب وتطلب منى أن أطلقها .. فأطيب خاطرها وينتهى كل شىء . ثم تعود الثورة لسبب تافه آخر ..

وآخر مرة عدت إلى البيت متأخرًا بالليل فوجدت الباب مغلقًا من

الداخل .. ورفضت أن تفتح لى .. وألقت على موشحًا من النافذة ..

وأنا الآن أفكر فى الطلاق .. ولكنى فى نفس الوقت أشعر بالحيرة واليأس ..

كيف أعيش وحدى بعد الطلاق .. ماذا أفعل .. هل أتزوج مرة ثانية ..

وكيف أضع عرضى وسمعتى بين يدى واحدة من بنات الشارع اللاتى يسرن كالبلياتشو مدهونات بوية .. بنات اليوم .. إياهم .. وأبقى بالاسم « زوج » وأنا رايح جاى بقرنين .. على رأسى ..

أنا حائر .. دبرنى ..

* * *

إن زوجتك عندها من العيوب ما يكفى لتطليق عشر زوجات من أزواجهن ..

ولكن المشكلة الحقيقية هى مشكلتك أنت ..

أنت تشك فى البشرية كلها .. وتسيء الظن بدرجة يستحيل معها أن تطمئن إلا إذا تزوجت غولة ..

وهذا هو الذى حدث بالضبط .. لقد تزوجت غولة .. وكانت شراستها ووحشيتها بردًا وسلامًا على قلبك .. كانت بركات وحسنات بالنسبة لك .. ومسكنات ومهدئات لداء الشك الذى يأكل عقلك ..

وأنت تخطئ جدًا حينما تتصور أن الخيانة الزوجية شائعة بهذه الدرجة .

تخلص من عقدتك وتزوج .. وسيبك من حكاية القرون دى ..

أما إذا لم تستطع الخلاص من مشكلتك . فلا يوجد حل .. استمر فى معاشرة الغولة .. أو تزوج غولة أخرى ..

٣٢

ميلاد صناعى

أنا فى الأربعين .. أعمل بالصحافة المصرية .. متزوج وعندى عشرة أولاد .. أحب زوجتى وأتفانى فى تربية أولادى .. مستقيم .. هوايتى الوحيدة فى دنياى هى إنجاب الأطفال ..

تزوجت قبل زوجتى الحالية بفتاة ولم يعمر زواجنا أكثر من عام لعدم الوفاق بينى وبين عائلتها .. فطلقتها ..

وتزوجت هى من بعدى برجل آخر وأنجبت منه تسعة أطفال فى خلال ١٤ عامًا . كنت سبقتها أنا بالأطفال من زوجتى الحالية ..

والتقينا بعد هذه الأعوام الطويلة ..

جمعتنا الظروف مصادفة منذ عامين فى مكان .. فأخذنا نتحدث ونحكى .. روت لى ما حدث لها .. ورويت لها ما حدث لى .. وتذكرنا أيام زمان حينما كنا زوجين .. وكيف كنا نختلف لأتفه الأسباب ونتعارك .. وضحكت ونظرت إلىّ فى طيبة وحنان .. وقالت لى :

— هل تعرف يافلان .. أنى كنت أحبك .. كنت أحبك جدًا .. ولكنى كنت عبيطة .. ولم أعرف كيف أحتفظ بك .

واعترفت لها بدورى .. كيف كنت أحبها .. ولكن كبريائى كرجل أفسدت على هذا الحب .. وحولت حياتى إلى مشاغبات معها ومع عائلتها .. انتهت بالطلاق ..

وحكيت لها كيف بكيت بعد الطلاق ..

وتندت عيناها بالدموع وأنا أحكى لها قصتى ..

وعشنا مع بعض ساعة جميلة من الزمن .. وتواعدنا على أن نلتقى مرة أخرى ..

والتقينا مرة ثانية وثالثة .. ونشأت بيننا صداقة عميقة ما لبثت أن تسللت إلى قلوبنا وانقلبت حبًا جارفًا .

أيقظت عواطفى وكأنى لم أر النساء طول عمرى ..

وكنا كلانا ندرك العواقب فحرصنا على ألا يشعر بنا أحد ..

لى قريبة زوجها يعمل بإحدى الدول العربية .. أخبرتها بكل شىء .. فقالت لى إن شقتى تحت أمرك فى أى وقت .. فعلا التقيت بها وذهبنا إلى قريبتى فرحبت بنا وأعطتنا الحرية التامة ..

وأصبح ترددنا على هذه القريبة شيئًا عاديًا .. وبمواعيد منتظمة نرسمها معًا وبحرص شديد ..

زادت مقابلاتنا .. وبرغم كثرة هذه المقابلات .. فإنى أقسم لك أننا لم نفعل شيئًا ..

كنا نقضى الوقت فى الحديث .. ونتعانق .. ونتبادل القبل .. ولا شىء أكثر من هذا .

ومع هذا فقد بدأت أحس بعذاب ضميرى .. أشعر أنها تسرق هذا الوقت الذى نقضيه فى الحب من أولادها ومن بيتها ..

قررت أن أضغط على نفسى وأبتعد عنها .. وكتبت لها أقول : إننا غافلان نخوض فى حب يملكه غيرنا .. حب مسروق .. حب بلا هدف .. وبلا نهاية ..

عودى إلى زوجك .. وليجمع الله بينكما فى الخير .. وتذكرينى .. فهذا يكفينى .. وسوف أذكرك طول عمرى ..

وبرغم بعدى عنها .. فأنا أعيش فى عذاب .. وأتخيلها معى فى كل لحظة ..

وأفكر فى مواصلة ما كنا عليه .. ثم أعود فأتردد ..

والله وحده يعلم ما يكنه قلبى من الحب ..

قل لى بربك ماذا أفعل ؟..

* * *

هذا حب غريب فى نشأته وظروفه ..

وأعتقد أنكما صنعتما هذا الحب صناعة ..

لقاؤكما بعد ١٤ عامًا بعد أن أصبح كل منكما ربًا لعشرة عيال يجرجر وراءه حياة مملة متعبة ليست فيها شاعرية ولا أحلام .. هذا اللقاء وهذه الحياة الجافة المملة هى التى دفعتكما إلى صناعة لعبة تلهوان بها .. لعبة اسمها الحب .. تنعشان بها ما بقى من أيامكما ..

ميلاد هذا الحب ميلاد صناعى .. وليس ميلادًا طبيعيًا ..

وقد دخلتما فيه كما تدخلان سينما .

ونشأت المشكلة من التعود .

وأعتقد أنه قد جاء الوقت لتفيقا أنتما الاثنان على هذا الوهم الذى تعيشان فيه وتعودا إلى الواقع ..

٣٣

ملاك أزرق

أنا شاب خجول .. وربما يكون هذا عيبًا كبيرًا .. ولكنى لا أستطيع أن أتلافاه .. فقد تطبعت به ما يقرب من عشرين عامًا عشتها فى كنف أسرة أحاطت نفسها بسياج من التقاليد القديمة وجعلتها دستورًا لها .

أعمل فى إحدى الشركات بالإسكندرية .. وهى زميلة لى بالعمل ، توطدت بيننا صلة الزمالة إلى أن تدرجت من ناحيتى إلى حب جارف ملأ كل قلبى ..

وحاولت أن أصارحها بحبى .. ولكنى كنت أعجز عن النطق عندما أرى عينيها أو أسمع صوتها .. فكتمت حبى فى قلبى وانتظرت الفرصة المناسبة .

وكان معى فى العمل زميل آخر .. رجل فى الثلاثين متزوج وله ولدان وزوجته تعمل معنا فى الشركة .. وتوطدت صلتى بهما وخصوصًا لأنى سكنت بجوارهما ..وأصبحت لا أفارقهما من الصباح إلى المساء .

وخطر لى أن أشرح لصديقى ما أنا فيه ربما يكون عنده حل .. وأفهمته شعورى وطلبت منه المساعدة .. فوعدنى أن يساعدنى بشرط ألا أستغل حبى لأتسلى بالبنت .. وبشرط أن أتزوجها .. فأقسمت له أنى لا أهدف من هذه العلاقة سوى الزواج .. لست بالرجل الذى يلهو بعواطف البنات البريئات ..

وبالفعل ساعدنى . فخرجنا معًا لأول مرة أنا وهو وزوجته وفتاتى .. ذهبنا إلى السينما وإلى منزله مرات كثيرة .. وفتحت زوجته قلبها لفتاتى واعتبرتها أختًا ..

لدرجة أنها كانت تنام فى بعض الأحيان بجوارها وإلى جانبهما زوجها على نفس السرير .. وكثيرًا ماتركتهما وذهبت لإسكات الطفل ..

كانت إنسانة ذات قلب طيب رقيق .. وكانت تثق فى زوجها ثقة عمياء .. فقد تزوجت به عن حب صادق متبادل بين الطرفين ..

وتعددت مقابلاتنا .. وكنا فى كل مرة نقترب من بعض أكثر ، وكنت دائمًا مع صاحبتى فى منتهى الأدب بالرغم من محاولتها إثارتى لأقبلها أكثر من مرة .. ولكنى كنت أجبن فى اللحظة التى تقرب شفتيها منى .

وكنت أخشى أن أدنس حبى ..

وكان دائمًا يدهشنى منها أنها كثيرة الهزار مع صديقى .. حتى أمام زوجته .. هزار مشين فى نظرى .. وليس صديقى وحده .. وإنما كل الزملاء فى المكتب بدرجة جعلتنى أنفر منها .. وأعاتبها .. وأنصحها .. وبدون فائدة ..

وتصورت أنها كانت تقصد من هذا إثارة غيرتى .. أو أن هذا الهزار هو الأسلوب الأسيور للحياة ..

وفى يوم شاءت الظروف أن نتأخر أنا وهى وصديقى وزوجته فى الشركة بسبب كثرة العمل .. يومها تحدثت معها حديثًا حلوًا .. وصارحتها بحبى وكانت لحظات من أجمل لحظات حياتى ..

ثم حدث أن خرج صاحبى .. وغاب بعض الوقت وطلبها .. فذهبت إلى مكتبه وغابت .. فذهبت حاملا بعض الأوراق .. وفتحت باب المكتب لأفاجأ برؤيتها بين ذراعيه غائبة فى قبلة طويلة ..

وكانت صدمة عنيفة أفقدتنى رشدى فجريت إلى مكتبى وارتميت عليه وأخذت أبكى ..

ودخل صديق .. وحاول أن يعتذر .. ثم جاءت هى بوجه زالت منه كل معانى الخجل .. جاءت وكأن شيئًا لم يحدث .. ولكنى طردتها بقسوة ..

كان من الواضح أنهما كانا يتخذاننى ستارًا لإخفاء علاقتهما الفاضحة عن أعين الزوجة .. وأنى كنت مغفلا طول الوقت ..

وكرهت نفسى . وكرهت حياتى ..

ومرت أيام ذقت فيها أقسى ألوان العذاب .. وفكرت فى تقديم استقالتى من الشركة لأبعد عن هذا الجو الفاضح .. ولكنى فقدت القدرة على اتخاذ أى قرار .. لقد ذهبت ضحيتها ..

أنقذنى ..

* * *

أنت لم تذهب ضحيتها .. لقد ذهبت ضحية خيالك وأفكارك ..

أنت المذنب من البداية ..

إن صاحبتك لم تحاول أن تبدو فى أى وقت على غير حقيقتها .. لم تحاول أن تخدعك ..

لقد أظهرتك على حقيقتها على الدوام فى حالة هزار مشين مع كل موظفى المكتب .. وهى تنام مع صاحبك وزوجته على فراش واحد .. وهى تحاول أن تحرك شهيتك إلى تقبيلها .. وأنت تخشى أن تدنس حبك .. ياسلام ..

وأنت فى حالة خيال مستمر .. أنت مصر على أن تلبسها دورًا غير دورها ..

أنت مصر على أن تعاملها كملاك .. تحبها كملاك .. ملاك إيه يابنى .. دى ملاك أزرق ..

والآخر تقول لى صدمة .. صدمة إيه ؟.. فين الصدمة دى .. ده نهاية طبيعية جدًا وظاهرة منطقية ومتوقعة .. واضح أن المكتب كله بيبوسها .. مش صاحبك بس ..

فين الصدمة هنا ..

أنت أصلك مخبوط فى عقلك ..

أنت المذنب .. لقد كنت طول الوقت تضطهدها وتطالبها بصفات ليست فيها .. إنها مخطئة فى حق نفسها صحيح .. ولكنها بريئة من دمك ..

امسح دموعك ، وقوم روح شغلك .. وتانى مرة ماتحاولش تفرض خيالك على الناس ..

٣٤

البكاء لن ينفع

فى ١٩ يونيو ١٩٥٨ كنت قد انتهيت من امتحانى فى الجامعة .. وكنت أشحن عفشى فى عربة العفش التقليدى لكل طالب .. سرير ومكتب وكرسى ودولاب صغير .. وفى جيبى مفتاح أعطاه لى أحد أصدقائى لأقيم بشقته طيلة العطلة الصيفية ..

ودخلت البيت ليلا حتى لا يرانى الجيران مع عفشى الحقير. وكان من عادتى أن أقوم بكل لوازمى البيتية بالليل .. أغسل وأكنس وأمسح وأنظف الأطباق بالليل .. وفى النهار أقوم بالطبخ ..

وفى إحدى الليالى وكنت راجعًا حوالى الثانية عشرة سمعت صوت بكاء ونشيج فى الشقة بجوارنا .. ثم فتح الباب وخرجت منه سيدة .. تجاوزت الثلاثين من عمرها ، ممتلئة الجسم قليلا ، طويلة بيضاء متوسطة الجمال مثيرة الأنوثة (عرفت بعد ذلك أنها مطلقة منذ أكثر من ثلاث سنوات) ..ونظرت إلىّ فى استنجاد وانفجرت تبكى .. فقلت لها فى خجل وخوف .. مالك .. فقالت والدتى خرجت من الصبح وماجتش لدلوقت .. وهى واحدة ست كبيرة .. وخايفة يكون جرى لها حاجة .. فاقترحت عليها أن تتصل بأقاربها علها تكون هناك .. فأعجبتها الفكرة وأبديت استعدادى لمصاحبتها .. ورحنا نلف على بيوت الأقارب واحدًا بعد آخر حتى وجدناها بخير .. ورجعنا فى وقت متأخر فى سيارة أجرة ..

وفى اليوم التالى جاءت أمها وبقية العائلة تشكرنى .. فتعرفت عليهم وتبادلنا الشاى فى طهارة وحسن نية .. ولم أشعر أكثر من أنهم جيران طيبون ..

وبعد شهرين ذهبت فى رحلة إلى معسكر صيفى فى الإسكندرية وغبت عشرين يومًا .. ثم رجعت فقابلتنى السيدة فى حرارة ودخلت خلفى فى الشقة وهى تسألنى عن الرحلة وعن الإسكندرية فى تلهف وخجل .. وفى عينيها بريق غريب وهى ترتعد .. وانتهى المشهد بأن خطفت منى قبلة وجرت بعدها إلى شقتها ..

وتعاقبت الأيام والشهور وتطورت القبلة الخاطفة إلى قبلة طويلة .. ثم إلى عناق أطول ثم إلى المصير المحتوم الذى تؤدى إليه خلوة امرأة مطلقة وشاب فى العشرين رياضى ومكتمل الجسم ..

وتكررت المسرحية لمدة أكثر من سنة وعرف الجيران وعرف أهلها بعلاقاتنا ..

وسافرت فى العطلة الصيفية لعام ٥٨ – ٥٩ وكنت أتلقى منها رسائل ملتهبة أرد عليها برفق وتعقل ..

وعدت من البلد لتقابلنى بحب أكثر ولهفة أكثر ولتحكى لى ما حدث مع أهلها .. وكيف أنهم عرضوا عليها الزواج من رجل غنى .. وكيف رفضت وأصرت على الرفض .. وبكت واشتكت وتشاجرت مع أهلها وهجرتهم وهجروها .. وعرضت على الزواج .. كانت مفاجأة بالنسبة لى .. ارتبكت .. ثم رفضت بحجة أنى فقير .. وبأنى مازلت طالبًا لم أكمل تعليمى .. وصغير السن .. أصغر منها بعشر سنوات .. فقالت وماله .. عندى ثروة تكفينى وتكفيك .. وسأضع كل مالى بين يديك .. وأساعدك فى تعليمك وأخدمك

أكثر من خدامة .. وقلت لها .. إن هناك أهلى .. وهم لا يوافقون على زواجى .. فقالت لا يهم أى شىء مادمت أحبك وتحبنى .. ولكنى رفضت بشدة .. وانتهى الموضوع ليتجدد بعد ذلك كل يوم ومعه بكاء وصراخ .. وقبلات على يدى ورجلى والأرض التى أمشى عليها .. وأحبك .. وأعبدك .. ماأقدرش أعيش من غيرك ..

وفى إحدى الليالى طرق الباب بعنف وفتحت لأراها أمامى متورمة العينين من البكاء .. وارتمت على صدرى تصرخ وتولول .. بأن أهلها جلبوا لها عريسًا آخر وهم يضغطون عليها لتتزوج منه . وهى لا تريد لأنها لا تحبه ولأنه أكبر منها بعشر سنوات .. وكنت رقيقًا معها هذه المرة ولم أشأ أن أقول لها إنها هى الأخرى أكبر منى بعشر سنوات ..

وراحت تقبلنى وتقول لى أنقذنى .. تزوجنى ولو ليوم واحد .. لأمسكت أهلى وأريهم العقد فيبعدوا عنى .. فوافقتها لا أدرى كيف .. ربما كانت طيبة منى .. ذهبنا إلى محام تعرفه .. وكتبنا العقد ..

وكان عقدًا عرفيًا نظرًا لاختلاف دياناتنا فهى مسيحية وأنا مسلم .. ورجعنا إلى البيت ..

واستمرت علاقاتنا كما هى .. نلتقى بالليل فقط .. وأنا فى شقتى وهى فى شقتها ..

وكنت محافظًا على مبدئى فلم أحاول أن أستغل حبها وكرمها وغناها .. حتى السينما كنت أرفض أن تدفعها .. وأتظاهر بالمرض حينما تنفد نقودى وكانت هى تغار علىَّ حتى من خادمتها التى لم تتجاوز العاشرة ..

واليوم وقد أكملت تعليمى وأخذت الشهادة وأصبحت أتطلع للمستقبل

ولبناء حياتى .. حاولت أن أفاتحها فى الموضوع لإنهائه ولكنها تشبثت وبكت واشتكت ..

لى عندها خطابات وصور .. والعقد العرفى إياه . وهى متشبثة بهذه الأوراق كما أنها متشبثة بحبى وتهددنى بأنها ستنتحر وستكتب أنى سبب انتحارها إذا طلقتها .

وأنا لا أريد أن أكون مجرمًا .. ولا أريد أن أكون بقايا حيوان .. ولا أريد أن أثقل ضميرى بأعباء لا يطيقها ..

ولا أريد أن أكون فى نفس الوقت رجلا عبيطًا تضحك عليه امرأة .. ولهذا أشركك فى مشكلتى وأطلب رأيك ..

* * *

إنك لم تترك لى رأيًا فى الواقع .. فإن سياق خطابك يشير إلى حقيقة واحدة باستمرار .. أنك لم تحبها فى أى يوم من الأيام . هى التى اقتحمت شقتك وخطفت منك قبلة .. وهى التى كتبت إليك رسائل ملتهبة .. وهى التى عرضت عليك الزواج وهى التى قبلت قدميك لتحصل على عقد زواج ولو لمدة يوم .. هى .. هى .. دائمًا وأنت ساكت تعطيها فمك لتقبله .. وترد على خطاباتها برفق .. وتعقد عليها عرفيًا من باب الشفقة ..

واضح جدًا أنك قد كونت رأيك من البداية .. ولست فى انتظار رأيى فأنت قد اعتبرتها سد خانة .. مدة التلمذة .. وخلاص ..

والزواج ياعزيزى ليس بالعافية .. والحب لا يمكن إثارته بالإشفاق والتهديد بالانتحار ..

أظن أنها ستدفع ثمن عروضها الرخيصة .. ولن يجديها انتحار أو صراخ .. أو بكاء .. فأنت قد كونت رأيك من زمان ..

٣٥

البحث عن مقياس

أنا فتاة فى العشرين .. أشتغل عاملة فى شركة . لى أسلوب فى حياتى اخترته واقتنعت به ومشيت عليه طول حياتى .. هو أن ألتزم فى علاقاتى مع زملائى الأدب والاحترام فأكون صديقة للكل دون أن أكون حبيبة لأحد .. وأحتفظ بعواطفى لنفسى لا أبتذلها وأعرضها للهوان أمام اللى يسوى واللى مايسواش ..

كانت نظريتى ألا أفتح قلبى إلا للرجل الذى يتزوجنى .. وأبتعد عن اللف والجرى ..

وكان رأيى فى غراميات البنات زميلاتى .. أنها ليست غراميات فى الحقيقة .. وإنما هى مرمطة ..

وكان أسلوبى هذا يلقى السخرية من الجميع .. البنات والرجال على السواء .. البنات يقلن عنى شبخة .. والرجال يقولون عنى رجعية .. ريفية .. طالعة فيها .. أليطة .. وعلى إيه ده كله ..

ولكنهم مع هذا كانوا يحترموننى ويحسبون لى ألف حساب .. وكان أخى يوافقنى على رأيى .. ويعيش فى حياته الخاصة كما أعيش أنا فى حياتى .. وكان هذا يعطينى القوة لأمضى فى طريقى ..

ثم حدث شىء .

أحب أخى جارتنا .. وهى فتاة معروفة بسوء السمعة .. وهو نفسه يعلم بسوء سمعتها وسوء أخلاقها .. وكان يحكى لى أنه رآها تمشى مع فلان على أنه

خطيبها .. ثم تستبدل به اليوم التالى رجلا آخر تقول أيضًا إنه خطيبها ..

ثم يحكى لى أنه رآها تهرب عشيقها من النافذة لأن أخاها دق جرس الباب .. ويقول إنها فتاة سيئة الخلق .. وإن آخرتها حاتكون زى الزفت ..

وهذه الفتاة هى التى أحبها .. وتدله فى حبها .. ثم فعل ماهو أدهى وأمر .. تقدم للزواج منها ..

وحينما صرخت فى وجهه وقلت له كيف تتزوج فتاة أنت نفسك تعلم أنها سيئة ومشيت مع عشرة غيرك .. أجابنى فى برود .. أنه قد اكتشف أن البنت التى لها ماض أفضل بكثير من التى لها مستقبل .

وأنها أحسن من البنت التى ليست لها تجارب ..

وانهارت مثالياتى كلها دفعة واحدة ..

ماذا جرى لعقولكم يارجال .. كيف تهون عندكم العفة إلى هذه الدرجة .. وماذا نفعل حينما نسمع مثل هذا الكلام ..

حينما نرى أن الابتذال هو الطريق الذى يوصل إلى الزواج .. والاحترام والعفة والأدب والأخلاق هى الطريق المسدود الذى لا يوصل إلى شىء ..

حاجة تحير ..

هل كل الرجال يقولون هذا الكلام ..

ماذا نفعل لنريح ونستريح .. وقولوا لنا لنعرف برنا من بحرنا ..

* * *

مشكلة هذا الجيل أن كل واحد فيه يفكر على طريقته ..

القياس الواحد العام المتفق عليه ذاب وتفتت إلى عدة مقاييس ..

هناك الرجل الذى يبحث عن بنت زمان ست البيت التى لا تخرج فى الشارع ولا تعرى صدرها .. ومقياس الصلاحية عنده أن تكون البنت « خادم » .

وهناك الرجل الذى تعجبه البنت التى تحمل شهادة وتخرج وتعمل ..

وهناك الرجل الذى تعجبه البنت الدايرة ولا يهمه إن كانت خسرانة أو مش خسرانة ..

والخطر كل الخطر أن ينظر كل واحد إلى الآخر ويقلده فى ذوقه .. أن تنظرى أنت إلى أختك ويسقط فى يدك من الحيرة .. وتشكى فى نفسك وفى سلوكك .. وتنظرى إلى البنت الخسرانة .. وتحاولى أن تقلديها فى خسارتها لتتزوجى .. وأنت غير مقتنعة بأسلوبها .. وأنت تحتقرينها فى نفسك .. وتكون النتيجة هى الفشل المؤكد فى الزواج .. وفى الخيص .. على السواء لأنك عشت فى لون غير لونك ..

لا تقولى ماذا يريده الرجال منا نحن النساء .. وإنما قولى لنفسك .. ماذا أريد أنا ..

إن الرجال ألف لون ولون .. كل رجل له طلب .. وله حلم .. وله نموذج يحلم به غير النموذج الذى يحلم به الرجل لآخر .. الجيل مفكك ليست له راية مذهبية واحدة .

وإذا حاولت إرضاء كل الرجال . فسوف تعيشين كالحرباء .. كل يوم بلون .. وتخسرين نفسك دون أن تكسبى رجلا واحداً .

حاولى أن تبحثى فى نفسك أنت عما تريدين ..

أنت مقتنعة بالعفة والأدب .. عيشى عفيفة مؤدبة وستجدين رجلك الذى

يتفانى فى حبك .. ويجد فيك أنت نموذجه الذى يحلم به ..

حذار أن تنظرى حولك إلى ما تفعل البنات .. وإلى ما يقوله الرجال .. وإلا فسيكون سقوطك مضاعفاً .. سقوط فى نظر الناس .. وسقوط فى نظر نفسك .. وهذه هى الكارثة ..

إن أخاك واحد من الرجال .. والرجال ليسوا كلهم كأخيك أبداً .. إن كل واحد فيهم يقول كلاماً غير الآخر .. ولا داعى لليأس . فمازالت العفة هى الحلم العزيز لأغلب الرجال .. ومازالت الدنيا بخير.

٣٦

العقل

أنا فتاة من الشرقية من عائلة طيبة .. تعليمى متوسط .. بدأت حياتى من سن السادسة عشرة .. شاءت الظروف أن أشتغل ممرضة بأحد المستشفيات وكنت فى تلك السن زهرة يانعة جميلة أتدفق بالمرح والحياة والنشاط ..

وأقبلت على عملى برغم ما لاحظت من احتقار الناس لهذا العمل النبيل ..

والغريب أن الناس يأخذون منا صحتنا وشبابنا ويبخلون علينا حتى بالتقدير والتشجيع الأدبى فى مقابل عمرنا الذى نبذله مجانًا للمرضى ..

وكان لهذا النكران والهوان والاحتقار الذى أحس به فى كل مكان أثره فى نفسى .. فبدأت أفقد ثقتى بالمثل والأخلاق .. وبدأت أقول لنفسى .. إذا كان هذا رأى الناس فى الممرضة .. أنها فتاة خليعة تمشى على كيفها فلماذا أعذب نفسى بالحرمان وأضيع عمرى خلف تقدير لن أحصل عليه .. ولماذا أجرى خلف الشرف .. والشرف يتبرأ منى ..

وبدأت أسهر .. وأتمتع بكل لحظة فى حياتى .. حتى أفقت فى يوم وقد وصلت إلى السابعة والعشرين من عمرى .. ولم أعثر بعد على حب عظيم أعتز به .. أو رجل نبيل أطمئن إليه ..

كل الرجال الذين عرفتهم كانوا غشاشين .. يبدون الحنان ليحصلوا على المتعة بأى ثمن .. ثم لا شىء بعد هذا .. كل حنانهم يتبخر ..

غش .. وسفالة .. وانحلال .. وكذب .. فى كل مكان .. وكل رجل ..

ورجعت بذاكرتى إلى الوراء .. وندمت حيث لا ينفع الندم ..

ندمت على كل خطوة خرجتها مع رجل .. وكل لحظة ابتذلت فيها نفسى من أجل لذة .. أى لذة .. ورجل .. أى رجل ..

ولكن المشكلة الآن أن الإنسان يكبر .. وفرص الزواج تقل يومًا بعد يوم ..

وأنا تعودت أن يكون معى رجل .. وأشعر أنى عاجزة أن أرجع كما كنت زمان .. وأستغنى عن هذه الحكاية ..

وكلما فكرت فى المستقبل اسودت الدنيا فى وجهى .. ورحت أبكى وأمزق شعرى فى حرقة ومرارة ..

والآن أتوسل إليك .. ساعدنى فى حيرتى .. ماذا أفعل .. لأجد رجلا يحبنى ويتزوجنى :

° ° °

إن السحر الذى يستعبد الرجل ويخلب لبه .. ويجعله يطلع يجرى على المأذون ليتزوج .. هو عقل المرأة .. عقلها أولا .. وعقلها ثانيًا .. وعقلها ثالثًا .. وبعد ذلك جمالها وفلوسها وحبها .. إلخ .. إلخ ..

وهذا طبيعى لأن العقل هو أهم شىء فى الزواج .. وأهم ضمان فى نجاح الزواج .. لأن الإخلاص عقل .. والوفاء عقل .. والقيام بمسئولية البيت عقل .. وتربية الأطفال عقل .. وتدبير ميزانية البيت عقل .. ورعاية الرجل فى مرضه وفى فشله وفى إفلاسه عقل .. وكفالة المظهر المحترم أمام الناس عقل ..

عملية الزواج كلها عقل فى عقل ..

والزواج الناجح يحتاج من المرأة إلى التعقل .. لأنه يحتم عليها أن تتنازل عن الكثير من هوس الشباب وطيشه ولذاته .. وتتنازل عن بعض نفسها لتقاسم

الحياة مع رجلها الذى تنازل أيضًا عن طيشه وعينه الفارغة الزايغة .. ليعيش ..

ومهما كانت المرأة جميلة وجذابة وفاتنة .. فهذا لا يكفى ليغرى الرجل بالزواج منها إلا إذا كان مغفلا ..

وأنا أذهب إلى أبعد من هذا ..

أنا أخجل حتى بالهلس مع الفتاة السايبة التى تتنقل فى طيش وترخص من رجل إلى رجل .. مهما كانت جميلة وساحرة .. لأنى أشعر أنى أدلق صحتى فى بالوعة يدلق فيها الكل افرازاتهم .. وأنى أفوز بشىء لا قيمة له إطلاقا ..

والمرأة حتى ولو كانت .. صيدة .. لا تفوز باهتمام الرجل إلا إذا شعر بقيمتها وغلوها ..

ومعنى هذا أن العقل مطلوب لدوام أى علاقة حتى لو كانت العلاقة هلس فى هلس ..

ونصيحتى لك .. أن تبذلى كل عقلك وذكائك .. وإذا استطعت أن تقنعى رجلا واحدًا بأنك إنسانة ذكية وعاقلة ، وأنك يمكن أن تكونى محل ثقة .. فإنك ستتزوجين قبل مضى هذا العام ..

تمنياتى الطيبة .. ولا تنسينى بعلبة الملبس ..

٣٧

الناس والظروف

بدأت حياتى فى سن الرابعة عشرة حينما بدأت أحس أنى رجل مسئول وأن على أن أساهم فى الكفاح من أجل بلدى .. ويومها انضممت إلى أحد الأحزاب السياسية وبدأت أشتغل بالسياسة وأخطب وأهتف وأنظم المظاهرات فى المدرسة الثانوية التى أتعلم بها .. وكنت حين ذاك طالبًا فى السنة الثالثة ..

وكما يحدث دائمًا فى مثل هذه الأمور .. كانت النتيجة هى الغرور والإحساس بالعظمة والأهمية .

وبدأت أعامل نفسى على أنى رجل مهم .. وأنظر إلى نفسى على أنى زعيم .. وصاحب رسالة .. ولا يهم أن أرسب فى الجغرافيا والكيمياء .. فالزعماء ليسوا فى حاجة إلى كيمياء ..

ورسبت أكثر من سنة فى دراستى الثانوية .. وقضيت سنوات الدراسة دوبل .

وكان يحدث فى أثناء موجات الاعتقال .. أن أتوقف عن نشاطى السياسى .. وأبدأ فى شغل فراغى بالاستغراق فى شرب الخمر والعلاقات النسائية .. وكلهن نسوة محترفات بالطبع .. وكانت المسألة تبدو لى جزءًا من الزعامة والباشوية التى أسعى للحصول عليها .. فهكذا يفعل الباشوات أيضًا .. يشربون ويسكرون ويعربدون مع النساء فى أوقات الفراغ من الزعامة ..

ودخلت كلية الحقوق .. وتخرجت محاميًا .. وفتحت مكتبًا فى القاهرة تحت

فيه كثيرًا .. ولم أكسب مليمًا .. وفكرت فى العودة إلى بلدى لأمارس مهنتى ..

وكان حظى فى البلد أحسن من حظى فى القاهرة بكثير .. ونجحت وكثرت الفلوس فى يدى .. وانهالت القضايا على المكتب ..

وكنت فى هذا الوقت قد بلغت الخامسة والثلاثين .. وكان المكتب على كثرة شغله يترك لى نصف يوم فراغًا لا أعرف كيف أملؤه .

وكنا نجتمع أنا وطبيب المركز ووكيل النيابة والعمدة للعب القمار .. أو نسكر .. أو نذهب إلى بيت مشبوه حيث نجد كفايتنا من النسوة المحترفات .. وحيث نقضى ليالينا الحمراء حتى الصباح ..

وكنت قد نسيت أحلام الزعامة .. والباشوية .. والسياسة العليا .. واكتفيت بلذات هذا الواقع الرخيص .. أغرق فيه كلما وجدت لحظة فراغ .. ولكنى فى نفس الوقت كنت قد كبرت على هذه اللذات .. وأصبحت لا أشعر بسعادة فى هذا اللون المراهق من الاستهتار .. كنت فى الحقيقة قد كبرت على عاداتى القديمة .. وفى أغلب الحالات التى كنت أصطحب فيها هؤلاء النسوة المحترفات كنت أجزل لهن العطاء آخر الليل دون أن أفكر فى أن أنال منهن شيئًا ..

كنت أشعر أنهن نساء بائسات .. وأنى أنا أيضًا رجل بائس مثلهن ..

وفى هذه المرحلة الحرجة من حياتى .. قابلتها لأول مرة .. فى بيت من هذه البيوت المشبوهة .. وكانت حاملا فى شهرها الثالث .

فتاة فى العشرين ذهبية الشعر .. جميلة .. جمالها هادئ طيب برىء حزين .. لا تتكلم إلا قليلا وتعيش فى وسطها الردىء .. وكأنها لا تنتمى إليه ..

وقضيت معها ليلتى .. وتعدد لقاؤنا .. مرة .. ومرات .. وعرفت أنها تعول

أمًا مريضة مشلولة .. وأخوات صغيرات فى المدارس .. وأنها العائل الوحيد لهذه الأسرة بعد وفاة الأب مصدورًا ..

وتعرفت على أمها وأخواتها ..

وحدث فى هذه الأثناء أن جرحت فى حادثة تصادم واحتجت إلى عملية نقل دم .. ومثل هذه العملية فى قريتنا تحتاج إلى يومين .. فالقرية تتصل بالمركز والمركز يتصل بمستشفى البندر .. ويطلب عربة إسعاف تحمل الدم حتى لا يتلف .. وإلى أن يحضر الدم يكون الجريح فى العادة قد شبع موتا ..

والذى حدث فى تلك الليلة أنى فتحت عينى فوجدتها جالسة إلى جوارى .. وعرفت أنها تبرعت بلتر من دمها .. من أجلى ..

وهكذا توطدت علاقتنا .. وبدأت تكشف لى الأيام عن روحها الطيبة الشفافة .. ونفسها التواقة إلى حياة العفة .. وكانت تقول لى دائمًا إنى أشعر أنى بحبك أنجو من الهوان .. إن حبك هو عذرى الوحيد الذى أتعلل به لأحترم نفسى .. أنا بدونك إنسانة ميتة .. إنسانة ساقطة تمامًا ..

وهكذا مضت الأيام تنسج لنا خيوط حب عميق متين .. وأملا لروحينا الضالتين الوحيدتين ..

واستطعت أن أحس بومضة الشرف فى روحها .. وتطلعها البائس إلى حياة نظيفة .. فيها حب .. ونظام .. ومعنى .. واستطعت أن أفهم ماضيها الطويل المشين الذى يجرر خلفه ظروفًا قاسية لا قدرة لها على مقاومتها ..

وأحسست أنى أفهم عذابها .. فأنا أيضًا رجل فاسد أجرر خلفى حياة طويلة مشينة كلها كذب وادعاء .. وأنا مثلها أتطلع بروحى إلى حياة فيها معنى وفيها حب ..

وشعرت أن بيننا رباطًا لاانفكاك منه ..

وصارحتها برغبتى فى الزواج منها .. فرفضت بشدة وبكت وقالت إنها لا تقبل أن تسىء إلى سمعتى .. وأن كل ما تطلبه من الدنيا هو أن أحبها ..

أصدقائى كلهم ضد فكرة زواجى بها ويستبعدون على مومس أن تحب وتتوب وتكون زوجة فاضلة .. ولكنى مُصر على الزواج بها.

مارأيك ؟..

* * *

الحب الحقيقى الصادق قد ينتشل المرأة من خطيئتها ويكشف لها وجه الحياة الشريف الجميل النقى .. تمامًا كما ينتشل الرجل من فساده واستهتاره.

وأنا لا أستبعد على مومس أن يردها الحب إلى مشاعرها الإنسانية النبيلة.

ورأيى أن الزواج مسألة شخصية جدًا ..

افعل ما يدلك عليه قلبك وإحساسك فحياتك ملك لك وحدك ..

٣٨

تلفيق الحب

أنا فتاة فى السابعة عشرة من عمرى فى الثانوية العامة .. فتاة لم أذق طعم الحب ولم أره فى حياتى .. وهذه هى مشكلتى !

كثيرات من بنات جنسى يروين لى مغامراتهن مع أحبائهن .. وعن جمال الحب وعذابه وسهره وأنينه .. وأجلس أنصت لهن ويدى على خدى ودموعى فى عينى .. ويسألننى فى النهاية عن قصة حبى فلا أجد شيئًا أقوله .. فليست لى مغامرات وليس لى عشاق ولا محبون.

سألت مرة والدى عن معنى كلمة الحب فقال لى إنه ترابط قلبين مخلصين إلى الأبد وهو شعور جميل جدًا ..

وسهرت ليالى كثيرة أفكر فى كلامه .. وأسأل نفسى .. هل أنا بلا قلب وبلا إحساس .. هل أنا إنسانة مجردة من الشعور ؟

واخترت شابًا طيبًا يسكن بجوارى .. صغيرًا جدًا فى السن .. وبدأت أقول لزميلاتى إنى أحب هذا الشاب .. وأزين لنفسى أنى أحبه فعلا .. لأثبت لنفسى أنى فتاة ذات قلب ينبض بالشعور والإحساس .. وأنى فتاة ذكية عرفت كيف تحب وكيف تختار حبيبها ..

ولكن صاحباتى يقلن عنى إنى ساذجة جدًا .. وإنى لن أنجح فى الحياة .. هذا مع العلم أنى دائمًا من الأوائل فى مدرستى ..

أظن أنك تضحك الآن .. وتقول عنى فتاة مراهقة .. لا .. أنا لست

مراهقة .. أنا بنت ناضجة . ولكن كل ماق الأمر أني لم أحب ولم أجرب الحب مطلقًا .. ولهذا أشعر بنقص شديد .. وضيق .. وعذاب .. حينما تقول عني صاحباتي .. إني ساذجة ..

هل تتصور أني عندما أدخل فيلمًا في إحدى دور العرض ويكون فيلمًا غراميًا مثيرًا .. وأرى مناظر الحب والغرام .. أشعر بالبكاء .. وأشعر بغصة الدموع في حلق .. وتنتابني طول عرض الفيلم مشاعر متفاوتة من اللذة والألم والنقص .. النقص لأني لم أحب .. ولا أعرف ما هو الحب كما تعرفه زميلاتي .. وأظل طول الليل ساهرة أحاول أن أطرد هذه الكلمة من مخي .. الحب .. الحب .. وتظل الكلمة تطاردني .. وتأكل مخي .. بلا نهاية .. ماذا أفعل ؟

* * *

أولا أحب أن أقول لك إن هذه السن .. سن السابعة عشرة هي سن الفشر والأوهام والخيالات .. ومعظم الحكايات التي تحكيها لك صاحباتك فشر في فشر .. فالبنات والأولاد يلذ لهم في هذه السن أن يتخيلوا وقائع لا أساس لها .. ومغامرات لا أصل لها .. ثم يحكونها لبعض على أنها مآسي .. ودرامات حب عنيفة جربها كل منهم واكتوى بنارها وبكى واشتكى .. وسهر الليالي .. وكل مأساة من هذه المآسي لا تزيد في أصلها عن قصتك أنت وجارك .. قصة لا معنى لها .. يصنع منها الخيال مصيبة وكارثة من كوارث الهوى الحراق .. ويروح كل واحد يقنع نفسه .. ويقنع أصحابه بأنها حقيقة .. وأحيانًا يصدق نفسه ويبكي فعلا ..

أما الحب الحقيقي فهو في نظري شعور ناضج عميق .. وهو لا يمكن أن يواتي الرجل أو المرأة قبل العشرين .. لأنه يحتاج إلى درجة كبيرة من النمو العقلي ومن اكتمال الخبرة .

الحب ليس بالشعور الذي نطلبه ونجري وراءه لمجرد التقليد .. ولمجرد أننا سمعنا أن فلانًا أحب .. تأخذ دبلنا في أسناننا وطيران على أول جار واقف في الشباك .. ونروح نازلين فيه حب . ده كلام فارغ ودي هي المراهقة فعلا ..

الحب شعور تلقائي يغزو القلب من تلقاء نفسه .. بدون استدعاء .. وبدون أن نرسل له التماسًا ..

وحب السابعة عشرة لا يمكن أن يكون حبًا .. إنه فضول .. نزوة شهوة .. لعب .. أي شيء إلا أن يكون حبًا ..

اشكري ربك على أنك لم تتورطي في هذه الحماقات .. وتأكدي أنك لست ناقصة .. وإنما أنت عاقلة .. لا تستعجلي نصيبك .. ولا تلفقي الأكاذيب لترضي بها فضولك ..

اتركي قلبك على سجيته .. وتأكدي أن الحب سيطرق بابك في حينه ..

٣٩

عدو النساء

أنا عدو النساء رقم واحد .

واعذرونى إذا كنت أتجرأ وأشتم كل النساء .. فأنا وصلت إلى حالة عصبية فقدت فيها عقلى .. واتزانى .. وسماحتى .. وأدبى .. وأخلاقى .. واسمعوا حكايتى :

منذ ثلاث سنوات .. فكرت فى أن أتزوج .. وأكمل نصف دينى .. وكأى رجل يدخل السينما ويقرأ المجلات ويختلط بالناس وينظر بعينيه باليمين وبالشمال .. كان أملى الوحيد هو أن أتزوج امرأة جميلة ..

وشكرًا للظروف الطيبة .. فقد وجدت هذه الجميلة ..

وأى جمال !!

جمال صارخ ..

بشرة بيضاء بلورية .. عود لين ملفوف مرح .. شعر ذهبى يرقص ويتمخطر على الكتفين .. عيون واسعة كعيون الغزلان .. فم أحمر متوهج مثل حبة الكرز .. ساقان مثل السيقان التى تزين إعلانات جوارب النيلون .. يدان ناعمتان مثل يدى الجيوكندا ..

جمال صارخ .. بكل معنى كلمة صارخ ..

وفرحت .. وقفزت من الفرح .. ولم أهدأ حتى كتبت الكتاب .. وانتقلنا إلى بيت الزوجية السعيد .. وبدأنا أيام العسل ..

وبدأت المتاعب .. والتلميحات .. وغمزات الغزل من كل جانب ..

وياحلاوته اللى ماشى على قشر بيض .. أحب السمك الرعاش .. ياملين انت .. ياقشطة .. يالوز .. ياجوز .. يامكسرات .. ياكريم شانتيه ..

وعلى باب البيت ينادى العيال الذين يلعبون فى شقاوة .. معسلة أوى يابطاطة .. والبطاطة هى زوجتى فاطمة طبعًا ..

وتضحك الست فاطمة .. وأغلى أنا من البطاطة ونار البطاطة ..

وأنا ذنبى إيه يارب بس .. عملت إيه ؟!

إذا تركتها تخرج وحدها عادت وراءها خمس عربات كاديلاك توصلها للباب .. وكل عربة فيها شاب صايع مسبسب .. يفتح الباب ويهمس .. عيب الحلاوة دى تمشى على رجليها .. عيب الجمال ده يتمرمط فى الشارع .. الجمال ده لازم يتحط فى قصر .. فى جنة .. وأنا أقف عليها خدام .. سفرجى .. شوفير .. تسمحى لى يامدام أكون شوفيرك .. خدامك .. عبدك مش هاين على تروحى للبيه ده .. الطعامة والقطقطة دى كلها تنام فى حضن شيخ الغفر .. اخص على ذلك !.

والبيه اللى اخص عليه بالطبع هو سيادتى .. شيخ الغفر .. حارس أبعدية الجمال والفتنة اللى حاتودينى فى داهية .

اتخانقت ودخلت القسم أكثر من مرة واشتبكت فى أكثر من معركة بالذراع بسبب دمى الحامى ..

أعمل إيه .. مش طايق ..

وهى مظلومة معى .. فما ذنبها فى أنها جميلة ؟..

إنها لا تلبس عريان .. ولا تتمخطر فى مشيتها .. وطباعها مهذبة ..

وسلكها غير ملفت ولا خليع .. ولكن جمالها .. جمالها يصرخ ..

قفلنا علينا البيت .. وأضربنا عن الخروج .. فبدأ التليفون يدق ..

آلو .. مين حضرتك .. لا أحد .. رد ياابن آدم .. البنى آدم انخرس ومع ذلك فالسماعة مرفوعة على الطرف الآخر والسكة مفتوحة ..

فى نص الليل يدق التليفون .. فإذا رفعت زوجتى السماعة رنت طرقعة بوسة .. ثم انقفلت السكة .. وأحياناً تظل السكة مفتوحة .. ويدير صاحبنا تسجيلات لأغنية شادية الأخيرة .. اكمنه ياناس واحشنى .. وخصامه كان جايشنى .. كلمته سمعت صوته .. وقفلت السكة تانى ..

وأحياناً يكون صاحبنا مؤدباً فيكتفى بأن يتأوه على الخط ..

صندوق البوسطة .. لا أفتحه مرة إلا وأجد فيه خطاباً للست .. كله أحلام وهيام وغرام .. والإمضاء .. معجب من الجيران ..

وأبدأ فى مراقبة الجيران فى جنون ..

من هو المجرم ابن الحرام .. ؟

أول شىء أقرؤه فى الصحف أخبار جهاز ضبط المعاكسات التليفونية .. ماذا تم فيه .. وكم مبلغ إيجاره .. وماهى أطول مدة لإيجاره ؟..

وفى الحق أنى كنت فى حاجة إلى مليون جهاز .. جهاز لضبط المعاكسات التليفونية .. وجهاز لضبط المعاكسات البريدية .. وجهاز لضبط النظرات .. وجهاز لكشف نوايا القلوب .. وأخيراً جهاز لضبط أعصابى وضبط غضبى حتى لا أنفجر .. وأطق .. وأموت ..

ألا يوجد عمل للناس فى الدنيا إلا زوجتى ..

وكرهت الجمال .. وقرفت من الجمال .. وطهقت من الجمال الذى كلفنى دم قلبى ..

وطلقت الجمال .. واسترحت ..

ومرت سنة .. ونسيت ماحدث لى من تحت رأس الزواج .. وعدت أفكر فى تكملة نصف دينى .. وهذه المرة كانت نيتى أن أبحث عن زوجة وحشة مثل غراب البين حتى لا ينظر إليها أحد .. وحتى أستريح من المعاكسات والمطاردات وأنام ملء جفونى ..

واخترتها .. نقاوة .. ليس فيها عضو من أعضائها سليماً .. شعرها أكرت .. وجهها فيه نمش .. عيناها بهما حول .. قصيرة لا تصل إلى كتفى .. سمينة مدكوكة كالبرميل .. لا تعرف لها رقبة من وسط من كتف من رجلين ..

امرأة فيها كل العبر ..

واعتبرت نفسى رجلا محظوظاً بكل هذه الوحاشة لأنى سوف أستريح من نظرات الناس .. وسوف أنام لا يدق إلى جوارى تليفون .. ولا تنزل على تلاقيح الغزل .. ولا تطاردنى طوابير العربات حتى الباب ..

واندبوا معى حظى التعس .. فهذا ماحدث بالفعل .. لم يفكر أحد فى أن يعاكس زوجتى .. ولم يفكر أحد فى أن يدق لها تليفوناً .. ولم يفكر مجنون فى أن يطاردنا بعربيته .. ولم يفكر مخلوق فى أن يلق لها بنظرة إعجاب .. ولم يبصبص لها كلب بذنبه .. وكانت النتيجة .. أنها جنت .. أصبحت تقف أمام المرآة ثلاث ساعات لتضع شكارة جبس على وجهها .. وتشد جسمها المدكوك بكورسيه .. وتلبس سوتيان صفيح يلقى بنهديها مترين إلى الأمام .. وتلبس حذاء كعبه عشرة سنتيمترات يرفعها إلى فوق .. وتمشى تتمخطر .. وتتقصع فى دلع .. منفر ..

مقرز .. وتنظر فى تبذل .. تستجدى الالتفات والغزل من كل من هب ودب من طلبة الست عشرة سنة الساقطين فى ثانوى إلى العجائز من أرباب المعاشات مدمنى الكحة ..

وأصبحت التعليقات التى تترامى حول أذنى من ماركة .. أعوذ بالله شايف الولية .. يانهار أزرق .. أوعى تقرب منها .. دى بتعض .. دى تلاقيها ست بيت على كيفك تنضف البيت أحسن من ال د . د . ت . ده تلاقى جوزها حاططها فى البيت عشان تأكل الصراصير ودى حاتموت إزاى دى ياخويا .. ده عزرائيل يخاف منها .. يانهار أزرق ..

ولم يعد التليفون يدق بالمعاكسات .. وإنما هى التى أصبحت تدقه وتعاكس وتقفل السكة .. وتتأوه .. وتدير أسطوانات شادية .. وتستجدى مكالمة لله . آلو لله ..

وأنا أتشنج من الغيظ . وأخبط رأسى فى الحائط ..

أليس لى حق فى أكون عدو النساء رقم واحد .. عدو كل حلوة .. وكل وحشة ..

* * *

لك حق والله العظيم ..

٤٠

المثقفة

أنا فتاة فى التاسعة عشرة من عمرى جميلة حاصلة على شهادة الفلسفة من مدرسة فرنسية للراهبات .. غنية .. ومن عائلة غنية .. لى أخت متزوجة .. وأخ أعزب .. بدأ الخطاب يتقدمون إلىَّ وأنا مازلت فى الثالثة عشرة من عمرى . وبالطبع رفض والدى . وكنت أحزن أحيانًا لأنه بذلك يمنعنى من تحقيق أحلامى الصغيرة فى الزواج .. فستان أبيض . ملابس .. خروج .. نزهات .. بيت أحكم فيه بأمرى ومشيئتى ..

حدث فى هذه السن أن وجدت كل زميلاتى يتكلمن عن الحب .. وال « بوى فرند » والقبلات والرقص فأخذت أستمع إليهن مشدوهة خائفة .. كيف يخرجن مع شبان .. ألا يخفن على سمعتهن ..

ولكن كثرة الكلام فى هذا الموضوع جعلته فى النهاية يبدو أمرًا عاديًا ولماذا لا يكون لى « بوى فرند » مثل باقى البنات .. وهل أنا وحشة .. وكان هناك ضابط يسكن بجوارنا أخذ يطاردنى .. واستمر شهورًا بعد شهور يطاردنى بكل الطرق الممكنة .. كان يحوم حولى فى كل مكان .. ويعاكسنى فى التليفون . ويبكى إذا قفلت فى وجهه السكة .. ولا أطيل عليك .. قلت فى نفسى : أجرب .. ولن أفعل مثل صديقاتى .. لن أخرج معه .. إذا كان يريدنى حقًا فعليه أن يتقدم إلى والدى .. فالحب فى نظرى لا معنى له بدون زواج ..

وقبل أن نتخذ أى خطوة .. فكرت أولا أن أصارح أخى بإعجابى بهذا الشاب ..

وأطلعت أخى على كل شيء . وفرح أخى .. واقترح قبل الخطوبة أن نلتقى نحن الثلاثة عدة مرات لكى نتعارف .. ونختلط بدون كلفة وبدون رسميات الخطوبة حتى يعرف بعضنا بعضًا بما يكفى .. فإن انسجمنا كان بها .. وإن لم يكن .. قطعنا علاقتنا فى هدوء وبلا ضجة ..

وهكذا خرجنا .. وتكرر خروجنا .. مرة .. ومرات .. لمدة سنة كاملة ..

وكان لقاؤنا دائمًا بتدبير أخى وفى وجوده .. وهكذا أتاح لى أخى فرصة نادرة لا تتاح لأى فتاة ..

وأعجبت بالشاب وأحببته وأصبحت أنا التى أطلب من أخى أن نخرج ونخرج ونخرج .. وازداد شوقى وحبى .. وألح حبيبى فى الإسراع بإتمام الخطبة .. وتقدم بالفعل ليطلب يدى ووافق أبى ورحبت أمى .. وباركته العائلة .. وفرحت .. وأصبحت أسعد إنسانة فى الوجود .. وفجأة حدث أن وقع الاختيار على خطيبى للسفر فى بعثة سنة إلى أوروبا .. وطلب الإسراع بإتمام الزواج ليصحبنى معه .. ولكنى آثرت الانتظار هذه السنة لأكمل تعليمى أنا الأخرى ..

وهكذا سافر .. وكنت فى وداعه على المطار .. وتواعدنا على أن نكتب لبعض كل يوم ..

وقد بدأنا نكتب بحماس فعلا خطاباتنا من يوم لآخر – ثم بدأت أنا أهمل الرد .. ولا أدرى ماذا حدث لى بالضبط – ولكن وجدت نفسى أتجاهله .. وشعرت بحبى يبرد ويفتر – وبينما كانت خطاباته تنهال علىّ تسأل .. وتسأل ..

كنت أنا ... ولا هنا .

ولا تتعجب .. فأنا ذاتى متعجبة من نفسى أكثر منك ..

لا .. لا يوجد هناك رجل آخر .. ولم أنشغل بأى علاقة أخرى ..

وحينما رجع لم أفكر فى مقابلته .. ولم أرد عليه حينما طلبنى بالتليفون .. ماذا غيرنى إذن .. سأقول لك الحقيقة .. إنه خوف .. خوف شديد .. رعب من شيء اسمه الزواج ..

أنا أخاف الزواج .. وأرتعد منه .. وكلما سمعت عن صديقة تزوجت أكثرت من زيارتها لأعرف نتيجة الزواج .. فأراها تندم على أيام زمان .. أيام الحب .. والحرية .. والجرى .. لم أر فى حياتى إنسانة سعيدة بزواجها .. أختى أتعس مخلوقات الله مع زوجها البخيل .. أمى هى المسيطرة على البيت وأبى يخشاها .. صديقاتى يتأففن من أعمال البيت والمسئولية والأولاد والطبيخ .. أغلب الأزواج يخونون زوجاتهم والزوجات يحاولن بالمثل .. واسألنى أنا فقد رأيت كثيرًا منهن يحاولن محاولات مستميتة مع أخى ..

إنى أكرهه .. أكرهه ..

ماذا أفعل

هل سيكون معنى هذا أن أعيش طول عمرى بلا زواج ..

وهل هذا ممكن .. أم أن هناك حلا ؟!..

• • •

الشطة حراقة ولكننا نأكلها ونحبها .. والحياة شاقة وصعبة ولكننا نتمسك بها ..

لا يوجد واحد لم يلعن الحياة .. ولكننا مع هذا نعشق الحياة ونتعلق بها

ونستميت فى التعلق بها ..

لا تصدق ما يقوله المتزوجون .. إن كل شكاوى المتزوجين كذب ، والمتزوج هو أول من يتزوج مرة ثانية إذا ماتت زوجته ..

والخيانة الزوجية نادرة .. وإذا كانت تبدو لك مألوفة ومنتشرة .. فذلك لأن الروائح الكريهة من صفاتها أن تفوح وتنتشر ويكثر حولها الكلام .. أما الزواج الناجح والعلاقات السوية .. والبيوت الشريفة فلا يسمع عنها أحد ولا يتكلم عليها أحد .. ولهذا يخيل لك أنه لا يوجد فى الدنيا شرف ..

والإنسان من طبيعته الشكوى وعدم الرضا بالواقع .. ولهذا فإن المتزوجة التى اشتكت من زواجها . لو أنك قابلتها وهى بنت لاشتكت لك من وحدتها وتعاستها ومن أنها لم تجد ابن الحلال الذى ترتاح إليه وتتزوجه .

ومشكلتك الحقيقية .. أن عندك عقد المثقفات المترفات . القلق .. والدلع .. والملل . والضجر من كل شىء بسرعة ..

وأحسن علاج لك هو معاملتك بقسوة .. لو أن خطيبك هجرك .. ولم يسأل فيك ، وكان أقوى منك فى شخصيته وإرادته .. لجريت خلفه تتمسحين به كالقطة .

٤١

اشرب

أنا واقع فى مشاكل لا أول لها ولا آخر .. وكلها بسبب تفكيرى فى الزواج .. ولأبدأ من أول القصة ..

أنا موظف مرتبى محدود أساعد به أبى وأمى وأخى العاطل فى معيشتهم .. صارحت أبى برغبتى فى الزواج فتطوع مشكورًا هو وأمى فى البحث عن عروسة .

وبعد شهور من البحث جاء لى بفتاة قال لى إنها ستكون رفيقة العمر التى ليس قبلها ولا بعدها .

ونزولا على رأى والدى واختياره خطبت الفتاة وشبكتها .. وبعد شهر من الخطبة بدأت الخلافات تدب .. فوالدى يشترط على الفتاة أن تعيش معنا فى عيشة واحدة .. فى الغرفتين اللتين تسكنها العائلة ..

ننام نحن فى غرفة .. وتنام بقية العائلة فى الغرفة الثانية .. ولم تقبل الفتاة .. وردت الشبكة ومقدم الصداق .. واعتبرت أنها نجت بنفسها من مصيبة .

وكعادة والدى .. أشاح بذراعه بلا مبالاة .. وقال لى .. ولا يهمك النسوان على قفا من يشيل ..

وهب يبحث وينقب .. ويسأل ويستقصى .. ثم عاد ومعه عجوز غنية وارثة وشكلها على قد الحال . وقال لى . هى دى اللى حاتريحك .. وحاتريشك .. ولية كبيرة ومجربة وتعرف مزاجك .. وحاتفرح بيك .. شاب صغير وأفندى موظف تملأ عليها البيت .. وربنا يتوب عليك م الفقر اللى انت

فيه .. ياالله ياشيخ اتكل على الله . يعنى حاتاخد إيه م الصغيرة .. ماهو كلهم فى الضلمة زى بعض ..

وهذه المرة خطبت وشبكت وكتبت الكتاب فى نفس اليوم .. واعتبرت أن الأمر غنيمة يحسن التعجيل بها على حد قول السيد الوالد وبدأت المشكلة ..

والمشكلة هذه المرة أثارها الناس ..

الناس اتخذوا من زواجى موضوعاً للتريقة . ومادة للتلقيح كلما شاهدونى فى طريق أتأبط ذراع الست ..

حلاوتك يابو طقم سنان ..

سلامتك م الكحة ..

نجيب لك لزقة ..

ياشيخ روح هات لها كفن ..

يارب خليكى ياجدق ..

والنتيجة طبعاً أنى بدأت أعانى من حالة عصبية ظلت تتفاقم يوماً بعد يوم حتى وجدت نفسى فى أحد الأيام أرسل لها ورقة الطلاق غيابياً .

وبالطبع كانت صدمة للزوجة تلقتها فى ذهول .. لم تصدق أن هذا الرجل الجربان الذى تنفق عليه يمكن أن يتجرأ ويطلقها . هى بنت الناس وصاحبة الجاه .. واشتكتنى فى المحكمة ..

وثار والدى وتبرأ منى . واعتبرنى نذلا ..

وكانت خصومة استمرت شهوراً ..

واختفيت مدة .. وكنت أتلقى إعلانات الحضور للمحكمة فى خوف وخجل وإحساس بالذنب .. وكنت أقتطع من مرتبى الصغير لأدفع للمحامى ووكيل

المحامى .. ووقعت فى أزمة ..

وكالعادة انتهت المشكلة وتصالحت مع أبى لتبدأ القصة من جديد . فقد راح أبى يبحث لى عن زوجة ثالثة ..

وكانت الزوجة الثالثة طيبة جداً . لم تشترط مهراً ولا شبكة ولم تسأل أين ستذهب بها ..

وعرفت بعد الزواج .. أنه لم يكن هناك ما يدعو لأن تسأل وتشترط وتطلب .. فهى من عائلة فقيرة دقة .. تسكن فى حارة سد فى غرفة واحدة ..

يبقى حا تسأل على إيه ؟! ..

وهى بالطبع قانعة ..

ولكنى غير قانع .. وتعبان .. ولا أفهم كيف تزوجت .. وكيف طاوعت أبى كظله فى هذه الزيجات الثلاث .. وكيف لم يكن لى رأى ..

الشعور بالذنب يطاردنى باستمرار .. وشعور آخر بأنى لا أستطيع المضى فى هذا الزواج .. ولا أستطيع التمثيل على نفسى للنهاية .

أريدك أن تجد لى مخرجا ، علماً بأنى لا أستطيع العودة إلى الزوجة الثانية .. ولا الأولى .. ولا أستطيع أن أمضى فى هذه الورطات إلى مالا نهاية ..

• • •

لا أفهم ماذا تقصد بهذه الورطات ..

فأنت على حد قولك موظف دخلك محدود تنفق منه على أب وأم وأخ عاطل ، وتعيش معهم فى غرفتين ، فأنت إذن من البداية لا تستطيع أن تفتح بيتاً .. وليست لديك مؤهلات الزوج ..

وإذا كانت هناك ورطة فهى ورطة الذين قبلوك وارتضوك على علاتك .

وأنت فى كل مرة تبرر خطأك بطاعة السيد الوالد أو تربية الناس ..

والحقيقة أن طمعك وليس والدك هو الذى ورطك فى الزواج بالغنية ، ولكنك تتمسح بالوالد وهى مماحكة لا تعفيك من المسئولية فأنت لست طفلا ولا قاصرًا .. ولا فتاة عذراء . ولا عذر لك فى أن تقول .. وأنا مالى أبويا قال لى اعمل كده ..

متأسف .. ليس لك مخرج عندى ..

من العدل أن تظل موحولا فى أعمالك ..

٤٢

خبير بالنساء

أنا شاب ، سنى ٢٠ سنة موظف ولى إيراد غير وظيفى من أملاك قليلة تدر على إيرادًا آخر إضافيًا لا بأس به .. أعيش حياة ميسورة ولى عربة ومشترك فى ناد رياضى ...

أزاول الرياضة العنيفة ... وأندمج فى عدة لعبات .... والواقع أنى فى نفسى أعانى إحساسًا شديدًا بالوحدة .. والخجل .. والتردد ....

اشتركت فى النادى وهويت الألعاب ... لأبعد عن نفسى هذا الإحساس ولأندمج فى الناس وأخرج من وحدتى ... وأكون علاقات ....

ولكن مع ذلك أشعر أنى مازلت متحفظًا منطويا بالرغم من كثرة أصدقائى ... وبالرغم من طول الوقت الذى أقضيه فى حياة اجتماعية ...تعرفت على فتاة منذ سنوات .. وكانت فى تلك الأثناء مخطوبة ...

وأذكر فى ذلك الوقت أنها هى التى شجعتنى على الكلام معها ... وكانت حينما تلاحظ خجلى ... تقول إن الفتاة من حقها أن يكون لها صديق ... وكل رجل من حقه أن تكون له صديقة .... وإن الصداقة علاقة رفيعة ... وإن صداقة المرأة لرجل لا يمكن أن تكون فيها خيانة لزوجها ، لأن الصداقة شىء آخر غير الحب .. وأنها مثلا تحب خطيبها ومع هذا تشعر بشعور الأخوة والصداقة نحوى ... ولا تجد فى هذا الشعور مايشينها .

والحق .. لقد أعجبتنى عقليتها جدًا .. وكنت أرى فيها مثال الفتاة

العصرية النموذجية ...

وبحكم اشتراكها فى النادى معنا – فقد كنت ألتقى بها كل يوم ... حيث نلعب معًا التنس ... والبنج بنج ... ونشرب الشاى ونأكل الساندويتشات ... ونثرثر فى مواضيع لا نهاية لها ...

ولم أشك يومًا فى طبيعة إحساسى نحوها ... فقد كنت أكن لها الصداقة والأخوة والود والعاطفة الرفيعة المنزهة من أى غرض ...

وحدث بعد هذا أن تزوجت ... وكان زوجها موظفًا فى إحدى البلاد العربية ... وكان يتغيب معظم وقته عن القاهرة بحكم عمله ... فاستمرت علاقتنا بعد الزواج كما هى ....

وظلت على مواظبتها فى الحضور كل يوم للنادى ... واستمرت صداقتنا ...

وكان يحدث أحيانًا أن نذهب إلى سينما ... حيث نقضى الوقت نناقش فى الفيلم ونعلق على ماتراه .

ولم يكن يتطرق إلى ذهنى فى أى مناسبة أن أغازلها أو أظهر لها الحب ، فقد كانت مشاعرنا فوق مستوى الشبهات ...

ولهذا سرنى كثيرًا فى إحدى المرات أن رأيتها تطلب منى خمسين جنيهًا سلفة ... فقد شعرت أنها تعتبرنى بالفعل صديقًا تثق فيه وتحترمه وتلجأ إليه وقت الشدة ...

وحينما اقترحت بعد هذا أن تقسط لى المبلغ على أقساط رفضت أن أتحدث فى الموضوع ... واعتبرت أن المسألة منتهية ... وأن ما تحتاج إليه لها أن تأخذه من جيبى بدون حساب وكأنى أخوها ... أو كأنى نفسها ...

وقلت لها إن هذا سوف يدخل على قلبى السرور .. ويشعرنى باحترامى

لنفسى وبثقتى بعلاقتنا .. والواقع أنها لم تتردد بعد هذا فى أن تطلب منى دفعات أخرى من خمسين .. وخمسين ... وعشرين جنيهًا أخيرًا ... وكنت أبادر بالدفع بسرور وسعادة .

والحق أنا لا أكذب عليك ، أنا كنت أشعر بسرور بالفعل وأنا أرى علاقتنا تتوطد .. وأرى أنها تكاشفنى باحتياجها للمال من وقت لآخر .. وأنى أنا .. وأنا بالذات أكون الصديق الذى يسارع إلى مساعدتها ..

هل هذا حب ؟!

لك أن تسميه كما تشاء .. ولكنى متأكد أن مشاعرى لها لم تتلوث لحظة واحدة .. وظلت حتى هذه اللحظة أبادلها المشاعر الرفيعة .. والصداقة الروحية التى لا يدنسها دنس ..

ولا أنكر أنى أصبحت الآن فى حاجة إليها أكثر مما هى فى حاجة إلى .. ولهذا أصبحت أشعر بسرور خفى كلما ارتبطت بى برباط الحاجة المادية .. وأشعر أنها أصبحت ملكى أكثر وأكثر . وهو شعور خبيث .. يخجلنى أن أشعر به .. ولكنها الطبيعة الإنسانية .. والطبيعة الإنسانية كما تعلم لا تخلو من الشرور ..

أصدقائى يقولون لى .. إنها تستغلنى .. وأنى رجل خيالى .. ولكنى أعتقد أنى رجل خبير بالطبيعة الإنسانية .. ولو أنها كانت امرأة من إياهم لتهورت فى علاقتها معى لتستغلنى أكثر .. ولتضمن احتياجى لها أكثر وأكثر .. ولكنها طوال علاقتنا كانت مثالا للشرف والعفة والأخلاق الكريمة .. وهذا ينفى فى نظرى أى شبهة للاستغلال .. فى حدود فهمى للطبيعة الإنسانية على الأقل والا إيه ..

ما رأيك أنت ؟ ..

* * *

الحقيقة أن فهمك للطبيعة الإنسانية .. هو اللى ضيعك ..

ولو أنك فكرت شوية فى الموضوع .. وفى الطبيعة الإنسانية اللى مغلباك .. كنت وجدت أن صورتها التى تظهر بها أمامك .. وهى صورة المرأة العفيفة الشريفة النظيفة المحترمة التى لا تشعر إلا بالمشاعر الرفيعة والخلجات الروحية الطاهرة .. الصورة دى هى الصورة الأقرب إلى الاستغلال .. لأنها الصورة التى رفعت سعرها فى نظرك .. وجعلت المبالغ التى تطلبها خمسين جنيهًا فما فوق ..

أما تهورها .. فإنه لم يكن ليرفع سعرها بل على العكس يخفضه إلى شلن ..

والدليل الآخر انها امرأة متزوجة اختارت للزواج رجلا يعمل فى وظيفة بالبلاد العربية ويتغيب أغلب الوقت عن القاهرة .. ووظائف البلاد العربية كما هو معروف وظائف مجزية .. ومرتباتها لا تقل عن ألف جنيه فى الشهر ..

ومعنى ذلك أن اختيارها للزوج كان اختيارًا مبنيًا على نفس العقلية المادية ..

ومع ذلك فهى تبتز منك مائة وسبعين جنيهًا فى شهور .. ليه !!

خلجات روحية .. ومشاعر رفيعة برده ..

فى الواقع أنا مش شايف روحية فى الموضوع ..

وخصوصًا أن الصديق الذى اختارته خلجاتها الروحية .. وهو سيادتك .. صديق مليان ماديًا .. وعلى نياته .. والا إيه .. والا حاترجع تانى لحكاية خبرتك بالطبيعة الإنسانية .. على كيفك ..

٤٣

عذراء اسمها محمد

أنا وحيد والدى ووالدتى .. عائلتى غنية .. وكل ما أطلبه أحصل عليه فى الحال .. وبالرغم من هذا يعذبنى الاحساس بالمسئولية .. وأشعر بالذنب حينما أرسب .. وأبكى كثيرًا ..

وأنا أتلقى دروسى فى مدرسة إعدادية خاصة .. وقد رسبت فى السنة الماضية .. وبكيت كثيرًا وأفضيت لأبى برغبتى فى ترك المدرسة والاشتغال بأى شغلة .. ولكنه رفض .. وقال وهو يضحك .. ولا يهمك .. اسقط على كيفك .. أوع تزعل نفسك .. خد فلوس زى ما انت عايز .. احنا فلوسنا كتير والحمد لله .. نشتغل ليه .. ونتعب نفسنا ليه ..

وذات يوم سافر والدى إلى بلدنا بالواحات للزيارة ، وحينما حضر فاجأنى برغبته فى أن أترك الدراسة .. ليه يابابا .. ده السنة فى آخرها والامتحان قرب ..

ولكنه رفض وقال لى أنت مخطوب من الآن وستتزوج بعد العيد مباشرة ..

وكان لهذا الخبر وقع الصاعقة على نفسى فأنا لم أتجاوز الخامسة عشرة بشهور قليلة وطولى ١٥٠ سنتيمترًا ..

وتعجبت .. وانعقد لسانى من الدهشة .. وأخذت عيناى تتوسلان لأبى بالدموع .. وأخذت أبكى وأرجوه أن يقلع عن فكرة زواجى .. ففى هذا قضاء على مستقبلى .. ورحت أستعطفه وأستقدم الوسطاء ليستعطفوه .. لكنه ظل يرفض بشدة .. ويقول .. يابنى أنا عاوز أفرح بيك .. وأشوفك متجوز ومخلف

قدامى .. وعيالك يلعبوا حواليه ..

قلت له كيف أعول زوجة وأنا غير قادر على إعالة نفسى .. فقال وهو يضحك :

عيب يابنى تقول كده .. أمال أنا فين .. إنت مالكش دعوة .. اطلب الفلوس اللى انت عايزها .. أنت وزوجتك وعيالك ملزومين منى أنا .. فيه حد يلاقى الراحة ويدور على التعب .. خيرنا كتير يابنى والحمد لله .. إيه لازمة الشقا ..

وفشلت كل محاولاتى فى منع الزواج .. وهو مصر على إتمامه قبل العيد .. ماذا أفعل ؟..

* * *

من الواضح أن أباك يعاملك كالبنت العذراء القليلة الحيلة .. مش مهم تسقط أو تنجح مادام آخرتها البيت .. ومش مهم تشتغل مادام - ربنا يطول عمره - بيديها المصروف .. ومايصحش تقول لا .. ساعة مايجيها ابن الحلال .. عيب .. بابا عاوز يفرح بيها .. ويشوف ولادها وولاد ولادها بيجروا حواليه ويملوا عليه البيت ..

والمشكلة ليست فقط مشكلة دلع .. ولكنها مشكلة إهدار كرامة رجل تمامًا .. وإهدار حقه فى أن ينضج ويفلح وينجح ويستقل بحياته .. وإهدار حقه فى أن يحب ويختار شريكة حياته .. ويعيش الحياة كما يحب أن يعيشها ..

إن أباك يريد أن يعيش حياته ويعيش لك حياتك أيضًا ..

إنه حريص على أن يفرح بك أكثر من حرصه على أن تفرح أنت بنفسك .. وهذه أنانية فظيعة وليست حنانًا .. إنه يريد أن يحرمك من إحساسك

بذاتيتك .. فى سبيل إحساسه هو بذاتيته وبأنه رجل غنى قادر على فتح بيوت وبيوت ..

تمسك بموقفك بدون دموع وبدون توسلات .. لتكن دماغك ناشفة كالحجر .. وعزيمتك ماضية كالحديد .. فأنت رجل ..

عش حياتك كما تريد أنت أن تعيشها .. فأنت لا تملك إلا حياة واحدة .. وإذا أعطيت هذه الحياة لوالدك فلن يبق لك شىء ..

٤٤

حب غريب

أنا أدخل اليوم فى عامى الثامن والعشرين ..

منذ عشر سنوات وأنا أتعذب بحب صامت أحترق فيه وأذوب وحدى دون أن يعلم به حبيبى ..

وحبيبى فى الستين .. لا تدهش ولا تمصمص شفتيك فى سخرية .. ولا تقل عنى مراهقة .. أو خيالية .. فهذا الحب هو الحقيقة الوحيدة فى حياتى .. الحقيقة التى تملؤنى وتصهرنى معها ..

هذا الرجل فى الستين .. الذى تنظر إليه على أنه عجوز فى خريف أيامه .. هذا الرجل كان دائمًا ربيع أيامى .. كان شبابى .. وكان قلبى لا ينبض إلا له ..

وقد نشأنا فى جيرة واحدة .. وكان صديقًا لعائلتنا .. وقد تزوج وأنا فى السابعة عشرة وكنت أنظر إلى زوجته بحسد .. وكنت أعيش على خياله وأنام على خياله .. وكنت أتمنى لو ماتت زوجته ليصبح لى من جديد كما كان دائمًا ..

وقد ماتت زوجته فعلا ومات معها طفلها الوحيد .. وعاد حبيبى يعيش منفردًا فى بيته الكبير .. يطوى ضلوعه فى حزن دائم .. وتبلل عينيه دموع حائرة تأبى أن تنزل ..

وفهمت أنه يعيش فى ذكرى حب واحد هو حبه لزوجته .. وأنه يحفظ لها إخلاصًا لا يموت ..

وكتمت حبى فى نفسى .. وحاولت أن أنساه .. ولكنه كان يشتعل ويتأجج

فى قلبى كلما رأيته بعينى الواسعتين الحزينتين ..

وكان من عادته أن يتجول فى الحديقة فى الصباح ومعه كلاب الصيد التى يقتنيها .. وهو لا يهوى فى الدنيا إلا أربعة أشياء .. كلاب صيده والكمان الذى يداعب أوتاره فى أوقات فراغه .. وصور زوجته ، ومهنة الهندسة التى يزاولها ..

أما أنا فلا مكان لى فى حياته .. إنه لا يشعر بوجودى .. لا يرى أنوثتى الفاضحة ، ولا يحس بجمالى ، ولا يدرك عاطفتى المتأججة نحوه .. وأنا فى اليأس الذى أعيش فيه وأمام حبه المتفانى لزوجته الراحلة لا أجد الجرأة على مصارحته ..

تقدم للزواج بى كثيرون وأتيحت لى فرص للزواج لا تتاح لفتاة فى دمشق رفضتها جميعًا .. لأنى لا أريد أحدًا سواه .. أنا زوجته أمام الله وأمام قلبى .. وسأطوى ضلوعى على سرى وأعيش وأموت له ..

لعلك تقول .. لابد أنها قبيحة لا أمل لها فى أن يحبها أحد ولهذا خلقت لنفسها هذا الوهم لتعيش فيه ..

ولكن الحقيقة المؤسفة .. أنى جميلة . ومثقفة .. وأحمل دبلومًا عاليًا فى اللغة الفرنسية .. وأجيد العزف على البيانو .. ومعشوقة من الجميع .. وعائلتنا ذات مركز مرموق .. وأعيش فى مجتمع ينظر إلىّ فى حب واحترام .. ولكنى لا أشعر بهذا المجتمع .. لا أشعر إلا بشىء واحد هو حبيبى .. بيننا فارق فى العمر يبلغ ٣٢ سنة ، ولكنى لا أشعر بهذا الفارق ..

إنه شبابى .. وطفولتى .. وحياتى ..

ماذا أعمل ؟.. أنا أتعذب ..

• • •

هذه عاطفة غريبة .. لو كانت سنك ١٦ سنة لقلت هذه هى المراهقة بعينها .. ولكن سنك ٢٨ سنة ، ولك خبرة واختلاط بالرجال .. ومثقفة وحساسة .. وفنانة .. وجميلة ..

لا شك أن الرجل فيه جاذبية .. فهو وحيد يعيش مغتربًا فى بيته مع كلاب صيده ومع آلة الكمان التى يبثها أشجانه ، ومع صور زوجته .. فهو إذن عاطفى حنون رقيق فنان موسيقى القلب مثلك ..

إن بينكما شيئًا يجمعكما ..

ولكن ٣٢ سنة تفرقكما ، وهى كفيلة بأن تسحق أى عاطفة .. وإذا كانت عواطفك لم تسحق إلى الآن فالسبب أنك تشغلينها بخيالك على الدوام .. أشك فى أن هذه عاطفة امرأة لرجل .. ربما كانت صورة من صور عشقك لأبيك ، وهو عشق يظل مكبوتًا بحكم كونه محرمًا حتى يجد علاقة مشروعة كهذه العلاقة فيظهر فيها ..

ربما كان حبًا ...

إن الامتحان الوحيد لأمثال هذه العواطف هو الواقع ..

إن زوجًا فى سن الستين لا يستطيع أن يقوم بوظائف الزوج فى أغلب الأحوال .. وهو لن يكون أكثر من صديق .. هل تكفيك هذه الصداقة وأنت كما تقولين ذات أنوثة فاضحة ..

هل ترتوى الأنوثة الفاضحة بلمسة حب أفلاطونى ..

أشك فى هذا .. والزمان بيننا .. صارحيه وتزوجيه ..

يشوقنى جدًا أن أعرف مصير مثل هذا الحب فى الواقع .. إنك على الأقل ستفهمين نفسك .. وهو لن يخسر شيئًا .. وأنا سأزداد خبرة ..

٤٥

معبود الأرامل

أنا شاب فى الخامسة والعشرين من عمرى ربيت فى بيت كله قسوة وشقاء .

فأنا لم أر أمى ، بل زوجة أبى فى أبشع صورها .. وكنت أبدأ يومى بعلقة تنتهى بتمزيق ملابسى وحرق كتبى وأختم يومى بكنس المنزل ومسح السلم .. وأنام على الضرب والشتم وأصحو على السباب والإهانة ..

لن أطيل عليك .. انتهت حياتى التعليمية ولم أستطع الحصول على الثانوية العامة .. ليس ذلك لكسل أو غباء منى .. فالكل يشهد بذكائى ونبوغى وكنت طيلة حياتى الأولى .. ولكن إذلال زوجة أبى وقسوتها كسرا شوكتى وحطما عقلى وذكائى ..

وعملت فى إحدى الوظائف المحترمة جدًا بمرتب أكثر من عشرين جنيهًا ..

لعلك تتساءل وماذا تريد إذن .. صبرًا .. فإن تلك الوظيفة لم تكن إلا كالمرهم المسكن .. مفعولها مؤقت .. فقد كانت بعقد ستة أشهر.. وينتهى العقد بانتهاء الستة الأشهر ..

وانتهى العقد وانتهيت أنا أيضًا معه .. لم يعد لى عمل سوى التسكع فى الشوارع والتطلع إلى الفترينات والأكل كل يوم عند صديق .. والمبيت عند صديق آخر ..

وأحيانًا كنت أبيت فى الحدائق .. أو فى محطات سكة الحديد متظاهرًا أنى أنتظر قطار الفجر ..

وأخيرًا قررت الرحيل من القاهرة .. وفى فجر أحد أيام شهر نوفمبر الماضى قررت السفر إلى الإسكندرية .. وبدأت السير من الطريق الصحراوى .

وسرت .. وظللت أسير حتى شعرت بالتعب .. فتوقفت وسط الطريق أشير للعربات لتحملنى معها .. ولكنها كانت تمرق بجوارى دون أن تفكر حتى فى أن تهدئ من سرعتها .. وساعتها كرهت الدنيا ومن عليها وتمنيت لو تدهمنى سيارة فأستريح ..

وكان الليل قد حل .. وكنت قد قطعت أكثر من خمسين كيلومترًا وحل بى الجوع والعطش والتعب .. فارتميت فى الطريق .. وسلمت أمرى لله .. وفى تلك اللحظة مرت بى عربة فارهة تقودها سيدة .. وتوقفت العربة بجوارى .. ونزلت السيدة وحملتنى معها إلى الإسكندرية وأخذتنى إلى بيتها ..

ومكثت راقدًا ثلاثة أيام مريضًا بالحمى .. وفى اليوم الرابع شفيت .. وأحضرت لى السيدة طعامًا وشرابًا .. وبت معها تلك الليلة .. وتكرر هذا فى الليلة التالية والليلة التى بعدها .. وفى اليوم السادس أعطتنى خمسة جنيهات وقالت لى .. تيجى كل يوم خميس .. فكنت أذهب إليها وأمكث عندها الخميس والجمعة وأتركها يوم السبت .. وتعطينى الخمسة جنيهات .. وتكرر هذا أسبوعًا بعد أسبوع إلى أن كان الخميس الماضى .. حينما رفضت أن تعطينى نقودًا .. وقالت لى .. إذا كنت عاوز فلوس لازم تتجوزنى .. وبشرط مؤخر صداق ألفين جنيه .. تصور ألفين جنيه ..

نسيت أن أصف لك هذه السيدة .. إنها فى الخمسين من عمرها .. شكلها مقبول .. وغنية جدًا جدًا .. وشاذة ..

هذه مشكلتى ..

هل أتزوجها وأعيش طرطورًا .. وماذا يكون مصيرى حينما أفاجأ .. وأنا زوجها بوجودها مع رجل آخر ..

وماذا يكون مصيرى إذا تركتها وعدت إلى تشردى وبطالتى .. إنها تنتظرنى .. انصحنى ..

* * *

أنصحك يا أبو لمعة .. أنك تبطل فشر .. وأن تعالج فشلك بأسلوب آخر غير أن تنام على ظهرك وتحلم بأن مليونيرة غنية شاذة فى الخمسين .. هبطت عليك من السماء .. فى عربة فارهة .. وطلبت منك القرب ونقدتك خمسة جنيهات ثمنًا لرجولتك الفذة التى لا مثيل لها ..

وليس أسهل عليك ولا أمتع لعقلك التعبان من وطأة الفشل أن يحلم أنك مهبط الوحى والفتنة للأرامل من صاحبات الملايين .. وليس أسهل عليك من اختلاق المشاكل لتحتال بها على عذابك .. ولكنى لا أجد داعيًا لأن تحتال علينا أيضًا .

أفق لنفسك وحاول أن تستغل ذراعيك .. وهناك ألف مصنع جديد يفتتح فى عرض البلاد وطولها .. فى حاجة إلى شبابك .. ورجولتك .. قوم شوف لك شغلة ..

٤٦

سر السعادة

أنا شاب فى الخامسة والعشرين .. ولا أزال فى الجامعة .. منظرى وشكلى جميل ، وهذا هو السبب فى تعاستى ومصائبى ..

لنا جارة ولديها طفلان .. زوجها كان متزوجًا بأخرى .. وكان بطبيعة الحال يتغيب عنها بين يوم وآخر .. وفى هذه الأيام كانت تحاول أن تتصل بى .. بالحديث على الباب بالمصادفة ثم بالخطابات .. ثم بالمقابلة وتكررت مقابلاتنا ثم بدأنا نتردد على دور السينما .. ثم بدأت تدعونى إلى شقتها .. وتسهل علىَّ الأمور وتهون علىَّ المغامرة ..

وضعفت أمام إغرائها .. وأمام شبابى وحرمانى .. وأصبح لقاؤنا فى شقتها وفى ليالى غياب زوجها عادة ..

ولأعد قليلا إلى الوراء فى سنوات نشأتى .. فقد كنت ملتهب العاطفة متدفق الحيوية .. وقد بدأت صباى بحب وحيد ملك علىَّ كل حواسى .. ولكنى لم أستطع المضى فيه إلى نهايته الطبيعية بالزواج لأنى كنت لا أزال طالبًا . وأمامى مستقبل ..

وهكذا انتهيت إلى حالة من القلق والحرمان واليأس ألقت بى فى أحضان هذه العلاقة السيئة ..

وكان نتيجة هذه العلاقة أزمة من نوع آخر .. هى الشك .. الشك فى كل النساء .. وكل الزوجات ..

فأنا أتصور دائمًا أنى سوف أتزوج ، فتخوننى زوجتى .. وأصبح طرطورًا أدخل البيت أشخط وأنطر وألقى أوامرى باليمين والشمال .. ثم أخرج فترتمى زوجتى فى أحضان رجل آخر ..

وتقول له أحبك .. أعبدك .. أنقذنى من زوجى .. أنا أكرهه .. لا أطيقه .. هذا الزوج الذى سوف يكون أنا بالطبع ..

وكبرت المسألة فى دماغى .. فبدأت أتلفت حولى فى أهلى .. وأنظر إلى أختى فى شك وريبة .. ثم إلى أمى التى يبلغ عمرها خمسين عامًا .. أصبحت أشك فيها هى الأخرى ، وأحاسبها حسابًا عسيرًا على خروجها وغيابها .. وأسألها أين كنت ؟.. ولماذا ذهبت بمفردك ؟.. لازم تفهمى أنى مسئول عن العيلة .. وخناقات لا تنتهى ..

وهكذا تسممت حياتى .. وتسممت أفكارى ..

والآن .. أنا فى عذاب مستمر .. أريد أن أتزوج والشك يقتلنى .. قالت لى صاحبتى مرة .. وهى معى : ماذا تفعل لو كنت زوجى واكتشفت هذه العلاقة ؟.. فقلت لها على الفور أقتلك .. والعجيب فى الأمر أنى أحتقرها وأكرهها .. وأحتقر نفسى لأنى أضعف وأستجيب لإغرائها لمجرد ذلك الشىء الحيوانى الذى فى دمى ..

ماذا أفعل .. كيف أتزوج .. وأتصرف كزوج طبيعى .. وهل هناك أمل فى أنى سوف أكون فى أحد الأيام زوجًا طبيعيًا .. وكيف الخلاص من هذه العقدة ؟..

• • •

لكل شىء فى الدنيا ثمن .. ولكل خطأ عقابه الفورى .. وأفعال الطيبين

لا تذهب عبثاً . إنهم يكافئون عليها مكافأة فورية .. بسعادة القلب واطمئنان البال ..

وأمثال الذين يعيشون فى تلذذ مسروق مختلس من بيوت الناس .. يفقدون راحة بالهم ويأكلهم الشك .

إنها ليست عقدة .. إنها مقابل طبيعى للفعل ..

إنه فعل خال من الاطمئنان فى جوهره وطبيعته .. فعل يسيطر عليه الخوف والقلق .. وهو لهذا يلد الشك وسوء الظن ...

ليست فى المسألة عقدة .

إن الراحة والاطمئنان والسعادة .. لا يمكن أن تنشأ إلا بتحقيق الانسجام بين الإنسان وبين عواطفه وتفكيره .. وأفعاله وظروفه ..

حاول أن تحقق هذا الانسجام فى حياتك بالبحث عن امرأة تحبها .. بقلبك وعقلك وجسمك .. ولا تمارس معها الحب باحتقار ..

٤٧

ملانكوليا

نشأت فى مدينة متوسطة من أبوين عصاميين .. وأنا أصغر أبناء خمسة .. ثلاث شقيقات متزوجات .. وأخ فى الدرجة الثانية فى إحدى الوزارات ..

وأنا فى العشرين من عمرى فى السنة الأولى من دراستى الجامعية ..

مشكلتى أن هناك رغبة جنونية تستعبدنى وتذلنى .. رغبة فى تحطيم أى شىء يقع تحت يدى .. أحطم الأكواب مهما بلغ سمكها .. أحطم الأطباق .. والزهريات .. أى قلم أمسك به .. أغرس سنه فى الورقة وأحطمه مهما كان ثمنه .. وأشعر بلذة وأنا أحطمه ..

وحينما أقف فى طابور السينما أو الاتوبيس وأرى أمامى شخصاً .. أشعر برغبة جامحة فى خنقه والانقضاض على رقبته بيدى .. وفعلا ترتفع يداى فى حركة لا شعورية إلى عنقه .. ولا أستطيع الخلاص من هذه الرغبة إلا بتحريك رأسى بشدة فى عدة اتجاهات لأبعد عينى عن المنظر كله .. وأحياناً أعمد إلى دفعه بيدى لأبعده عنى .. وقد أوقعه على الأرض .. وتحدث هذه الأشياء كثيراً وأنا مع أصدقائى مما جعلهم يبتعدون عنى .. ويقولون إن هزارى سخيف .. وهم يظنون ما أفعله هزاراً ..

أحب السرعة فى كل شىء .. فى الأكل واللبس والمشى .. أغير أصدقائى بسرعة .. ولا أشعر برابطة وجدانية نحو أحد ..

حاولت كثيراً أن أعرف سبب حالتى وعدت بذاكرتى إلى الوراء لعلى أجد

سبباً فى طفولتى .. ولكن طفولتى عادية .. اللهم إلا ضخامة هيكلى العظمى التى كانت تخيف الأطفال .. وضخامة يدى .. وضخامة كتفى ، وهم فى المدرسة يسموننى الكتف الحديدى ..

وفى العام الماضى حدث أن رفعت مائة كيلو جرام دون علم بوزنها .. وحاول المدرب إغرائى على التدريب .. لكنى لم أحفل به ..

حياتى الجنسية عادية .. فيما عدا إحساس شديد بالكراهية ينتابنى ونفور حاد من المرأة .

ولهذا السبب أرفض الزواج ..

لى صديقة أحبها وأعبدها وتبادلنى الحب والعبادة .. وهى صغيرة وجميلة وغنية .. وأتمنى أن أتزوجها .. ولكنى لا أجرؤ على اتخاذ هذه الخطوة خوفاً من انقلاب حبى إلى كراهية حينما أعاشرها زوجياً ..

تنتابنى نوبات فجائية من الانطواء والعزلة والصمت .. فأدخل غرفتى ولا أخرج منها يومين أو أكثر..

وقد يمضى يوم وليلة لا أتحرك من مكانى حتى تدخل أمى وتنتزعنى بالقوة من الكرسى الذى أجلس عليه متجمداً كالتمثال .. لكى آكل ..

أين كان عقلى .. وكيف سكنت معدتى ولم تصرخ طالبة الطعام ..

إن حالتى تتدهور بسرعة .. وأنا الآن أتجنب ركوب التاكسى خوفاً من أن أنقض على السائق وأخنقه دون أن أدرى

ذهبت إلى أطباء نفسانيين .. وحاولوا علاجى بالجلسات والإيحاء بلا فائدة ..

أرجوك أنقذنى ..

* * *

إن الطب النفسى لا يكفى لعلاجك ..

أنت فى حاجة إلى طبيب أمراض عصبية .. وعلاج منتظم فى مستشفى ..

إن حالتك .. حالة مرضية معروفة اسمها الملانكوليا .. والمريض فى هذه الحالة يعانى من رغبات متسلطة .. ونوبات حادة من الانطواء والسكون والامتناع عن كل شىء حتى عن الأكل ..

وهذه الحالة قابلة للشفاء بشرط المبادرة إلى الذهاب إلى مستشفى مختص ..

٤٨

جنون الغيرة

أنا شاب عمرى ٣٠ سنة متزوج من سنتين .. وزوجتى مدرسة بمدرسة الراهبات .. والشيء الذى لا يعرفه أحد أنى أعيش فى عذاب الغيرة .. طوال السنتين ، وأنا أكتوى بنار الغيرة ..

زوجتى ليست جميلة .. ولا خفيفة الدم .. بل هى عادية جدًا جدًا .. وظاهر تصرفاتها يوحى بالثقة .. وسمعتها حسنة .. ليس عندى شيء أمسكه عليها .. ومع ذلك أنا أشك فيها .. الشك ينهشنى .. والغيرة تأكل قلبى ..

إذا ركبنا « أتوبيس » أقف بجوارها وأحملق فى كل شاب فى ريبة ، وإذا رأيتها تنظر حولها هنا أو هناك أغتاظ ويغلى الدم فى رأسى وأشعل سيجارة وأروح أنفخ فيها .. ولا أجرؤ أن أجاهرها بشكوكى .. وإذا حضرت من عملى ووجدتها واقفة فى البلكون أغتاظ .. وإذا رأيتها تلبس فستان ديكولتيه مفتوح شوية أصاب بالجنون .. ولكنى أكتم جنونى وغيظى ولا أصارحها حتى لا تقول لى : متأخر ورجعى .. ولكنى ألاحظ أنها تأخذ بالها ..

وإذا حضر زوار لإخوتها فى البيت ، وأخذوا يروحون ويجيئون شعرت بالضيق مع أننا وحدنا فى غرفة بعيدة ..

وإذا وجدتها سرحانة ومش واخدة بالها .. وكلمتها فنظرت إلى فى شرود .. أغضب فى نفسى .. وأنام بلا عشاء ..

وإذا ذهبنا إلى مكان ما للسهرة .. وكان حولنا شبان أظل أتململ طول

الوقت .. ولا يعاودنى هدوئى إلا إذا رجعنا إلى البيت ..

وإذا ضحكت فى الطريق أتلفت حولى لأبحث عن الرجل الذى ضحكت له .. وإذا عبست تنتابنى الوساوس والظنون .. ويظل عقلى يختلق الظنون المتعبة ..

وهى الآن حامل .. ولكنى أشك أحيانًا فى الجنين الذى تحمله .. أشك فى أنه قد يكون من رجل آخر غيرى ..

أنا أعيش فى عذاب .

ولكن ماذا أفعل ؟.. وأنا أحبها .. أعبدها ..

* * *

أنت لا تحبها .. أنت تحب نفسك .

أنت تحتقر زوجتك وتعاملها كما لو كانت من ممتلكاتك .. كما لو كانت تابعًا بلا حرية ولا بلا إرادة .. لا حق لها فى أن تنظر إلى اليمين أو إلى اليسار .. أو تضحك .. أو تعبس .. وأنت لا تكتفى بامتلاك جسمها وإنما تريد امتلاك روحها ..

وسبب جنونك هو شعورك بالنقص وبأنك غير كفء وغير قادر على الاحتفاظ بها .. وأنه لا وسيلة للاحتفاظ إلا بالعنف والتحكم والضغط واللجوء إلى الحق الشرعى .. ومواجهتها بصكوك الملكية .. ولكنك لا تجد حتى الشجاعة فى هذا .. ولهذا تجن .. وتكتوى بالنار وتغتاظ .. وتكتم فى نفسك ..

وحينما تراها تضحك فى الطريق .. تتلفت حولك لتبحث عن الرجل الذى ضحكت له ، لأنك لا تتوقع ولا تنتظر أن يكون هذا الرجل هو أنت .. أنت فى نظر نفسك تافه .. لا تستحق أن تحبك حتى زوجتك ..

إن العقدة فى نفسك ... وإذا لم تتغلب على هذا الشعور بالنقص فإن زواجك سيفشل ..

إن زوجتك لن تحترمك لأنك لا تحترم نفسك .. ولن تعرف كيف تحبك .. لأنك لا تعرف كيف تحب نفسك ..

٤٩

الحقيقة الخفية

أنا زوجة .. وأعمل فى إحدى الشركات ..

معى فى العمل شاب أعتبره أنا رجلا مثاليًا جذبنى إليه بأدبه وذوقه ورقته فحفظت له أعظم تقدير .. وكانت نظراتى إليه كلها نظرات إعجاب بشخصه حتى إننى كنت أمتدح أخلاقه المثالية أمام زوجى .. إلى هنا والمشكلة تبدو طبيعية ..

ولكن الواقع أن النظرات استمرت وتبعتها نظرات من جهته .. نظرات طويلة وغير عادية ..

وذات مرة سألت نفسى ماذا وراء نظراتى له ..؟

إنى أحب زوجى حبًا جمًا وأقدس حياتى الزوجية ولا ينقصنى شىء فى الدنيا .. وبرغم اشتغالى نصف يوم خارج بيتى فأنا لم أفكر مطلقًا فى إهمال شىء بيتى أو زوجى ..

وزوجى يحفظ لى كل حب ومودة وتقدير ..

فما معنى هذه النظرات التى لا أستطيع أن أوقفها عند حد؟!

لماذا تعلقت به عينى إلى هذه الدرجة ؟!

ولم أستطع الإجابة عن هذا السؤال ..

ولكنى كنت كلما نظرت إليه شعرت بالراحة والحنين .. شعرت بأنه إنسان طيب أستطيع أن أتخذه صديقًا أحكى له مشاكلى وعذابى وآلامى ..

ولكن هل هو كذلك ؟..

لا أعلم..

فإلى الآن.. وبعد مضى حوالى عامين من النظرات الطويلة المتبادلة.. لم يفتح فمه بكلمة.. ولم يصارح أحدنا الآخر بدخيلة نفسه..

وفكرت فى معنى نظراته الطويلة نحوى.. واكتشفت أنى لا أستطيع أن أعيش بعيدة عن هذه النظرات..

ولست أستطيع أن أصف لك هذه النظرات الحلوة.. مهما حاولت.. فإنها شىء فوق الوصف.. نظرات كلها حنين وأنين وشجن وهمس وصراخ..

وأنا أحرص دائمًا على أن أظهر له فى كل دقيقة أنى لا أهتم به ولا أفكر فى أى رجل سوى زوجى.. ولكن فى أعماق نفسى أشعر أنى متعلقة به.. مشتاقة إلى النظر إليه فى كل لحظة..

وقد فكرت فى هذا الوضع.. وفى كونى زوجة.. وفى الحرج الذى أشعر به.. ويشعر هو الآخر به..

وهو من ناحيته يحاول دائمًا أن يبتعد عنى.. ويتجنب الانفراد بى فى مكان.. ويحاول أن يهرب.. وكلما سنحت فرصة لنبقى معًا يشعرنى بأنه مضطرب ثم يسرع بالاستئذان.. وفى اليوم التالى يحاول أن يظهر إهماله لى.. ولكن نظراته تعود فتفضحه. نظرات كلها شوق ولوعة..

وهكذا تستمر المناورات بيننا.. ونقترب ونبتعد فى سلسلة من المحاولات اليائسة للهروب من المصير المحتوم.. ولكن طول الوقت لا يبدو علينا شىء.. لا شىء سوى مظهر الزمالة العادية.. ويعلم الله مابنفس كل منا.. والآن أشعر أن مشكلتى تتفاقم بسرعة..

وأصبحت أمضى الساعات الطوال أفكر فيه وفى نظراته التى لم أعد أستغنى عنها.

ماذا أفعل وقد أصبحت أحب عملى فقط من أجل أن أراه وأنظر إليه ؟..

مارأيك ؟..

* * *

من الواضح أنك لم تتركى لى فرصة للرأى.. فأنت فى مواضع كثيرة من خطابك.. تسبقينى... وتسبقين نفسك بوضع أحكام نهائية ترفض الجدل..

جذبنى أدبه وذوقه ورقته..

كلما نظرت إليه شعرت بالراحة والحنين، وبأنه إنسان طيب أستطيع أن أتخذه صديقًا أحكى له عذابى وآلامى.. ليه الآلام دى.. وليه العذاب ده كله.. إنك زوجة وتحبين زوجك وزوجك يحبك وتقدسين حياتك الزوجية ولا شىء ينقصك فى الدنيا.. كما تقولين..

واضح أنك تفتعلين هذا العذاب لتجعلى من نفسك ضحية مسكينة فى حاجة إلى النظرات الحنونة.. المشتاقة.. الولهانة... إلخ..

إنك تضعين حيثيات وهمية لتستحلى بعد ذلك أى شىء..

وهى نظرات.. يوه منها..

أنا لا أستطيع أن أصف لك هذه النظرات الحلوة مهما حاولت فإنها شىء فوق الوصف.. ياسلام.. لا ياشيخة.. نظرات كلها حنين وشجن وهمس.. آى..

اكتشفت أنى لا أستطيع أن أعيش بعيدة عن هذه النظرات.

طبعًا بعد كل هذا الإخراج.. مش ممكن..

ماذا أفعل وقد أصبحت أحب عملى فقط من أجل أن أراه وأنظر إليه ..

يعنى بتهدديني كمان .. بأنك لن تستطيعى الاستمرار فى عملك .. لو أنك تركتيه لحاله ..

ناقص تقوليلى .. حاترفدنى .. وتقطع عيشى لو قلت لى سيبيه ..

إن المشكلة قطعًا ليست مشكلة شاب فى محل عملك ينظر إليك ..

إنك كامرأة متزوجة سوف تجدين فى كل مكان رجلا مستعدًا للنظر إليك طول اليوم .

إن المشكلة هى مشكلتك أنت .. ومشكلة رغبة مستبدة تثور فى قلبك .. خيانة زوجك .. رغبة بدون سبب .. فأنت تحبين زوجك وهو يحبك .. مجرد تخريب .. عبث ..

والنهاية طبعًا معروفة ..

نظرات طويلة متبادلة فى محل العمل .. خبص عينى عينك .. وفضيحة بجلاجل .. وخراب بيوت .. وسمعة طين ..

وفى النهاية بعد أن تخسرى كل شىء .. لن ينظر إليك حتى الرجل الذى أعطيته نفسك ..

سيظل يتخيل نفسه فى مكان زوجك الذى خنته وأنت تحبينه .. سيظل يشعر دائمًا أنك من جنس لا أمان لعاطفته أبدًا .. وهكذا تفقدين كل شىء .. كل شىء وتنتهين تمامًا ..

٥٠

التعود

أنا موظف صغير فى الدرجة الثامنة .. أقوم بمساعدة أهلى فى الريف بجزء من مرتبى وأعيش بالجنيهات القليلة التى تبقى لى فى القاهرة .. فى غرفة بمفردى .. ومازلت « أعزب » إلى الآن ..

مضت على تعيينى ثلاث سنوات لم أدخر فيها شيئًا للزواج .. تعرفت على فتاة منذ ثلاث سنوات تعمل حكيمة فى الدرجة السابعة بأحد المستشفيات الحكومية .. سمراء ملفوفة .. تكبرنى سنًا بحوالى خمس سنوات ...

كنت معها مثال الصديق المخلص طوال السنوات الثلاث من تعارفنا . كنا نتقابل دائمًا فى الخارج لنقضى الوقت فى أحد الكازينوهات أو إحدى دور السينما ..

ثم حدث أخيرًا أن دخلنا إحدى حفلات السينما التى تبدأ فى منتصف الليل وتنتهى فى الثالثة ..

وخرجنا فى الساعة الثالثة لنواجه مشكلة .. أين نذهب ..

أنا لم تكن عندى مشكلة لأنى أعيش وحدى وأستطيع أن أعود وحدى فى أى ساعة من الليل .. أما هى فلم تكن تستطيع العودة إلى بيت الحكيمات فى مثل تلك الساعة المتأخرة ..

وفكرت .. وفكرت .. ولم أجد حلاً .. وأخيرًا أخذتها معى إلى مسكنى لتقضى به بقية الليل ..

وأصارحك .. بأننا قضينا هذه الليلة كما نتمنى .. وعوضنا السنوات الثلاث التى كنا نلتقى فيها فى الخارج ..

وتكررت هذه الأشياء .. وأصبحت تتردد على منزلى .. وأصبحنا لا نسأل عن سينما أو كازينو .. فالمنزل أحسن بكثير .. وكانت تبيت معى لأن عملها يخول لها ذلك .. فهى حكيمة وعندها ورديات بالليل .. وأحيانًا ورديات بالنهار ..

وأخيرًا فكرت فى الزواج منها وشجعتنى على هذه الفكرة .. وقالت لى إنها ستساعدنى فى كل شىء .. ولا داعى لأن أحمل هم التكاليف ..

ولكن عندى فى نفس الوقت أسبابا تجعلنى أتردد .. فهى ليست جميلة .. وهى أكبر منى سنًا .. وهى فى الدرجة السابعة وأنا فى الدرجة الثامنة .. وقد يدفعها هذا إلى أن تتصرف معى بغرور واستعلاء ، وأصحابى يقولون عنها إنها حكيمة ولها عمل ولن تكون متفرغة للمنزل ولا للزوجية .. هذا زيادة على أن طبيعة عملها ومبيتها بالمستشفى تجعلها تفعل مع الأطباء والمرضى كما تفعل معى ..

وسوف تتأخر على كيفها ولن أستطيع أن أقول لها .. كنت فين ؟..

وهم يقولوا أيضًا إنها فى سنها الحالى وبعد أن فاتها قطار الزواج لا يهمها إلا أن تحصل على زوج ، أى زوج لتكون فى عصمة رجل .. ثم تعيش بعد ذلك على كيفها ..

ولكن الحقيقة الأكيدة التى أشعر بها .. أنها تحبنى وتعبدنى .. فى الوقت الذى أحبها أنا فيه بعض الحب فقط ..

وأنا حائر .. هل أتزوجها ؟..

* * *

لا شك أنك بحالتك الراهنة .. موظف فى الدرجة الثامنة وجزء من مرتبك يذهب إلى أهلك بالريف .. تعتبر .. عريس على قد حالك جدًا جدًا ..

وسوف تكون فى حاجة إلى زوجة تعمل وتكسب لتعاونك .. إذا فكرت فى الزواج ..

وبإيرادك الحالى الذى لا يزيد على سبعة جنيهات لن تجد من يرضى بك .. بسهولة ..

وإنها لنعمة من الله أن تجد امرأة تحبك وتعبدك .. وتحلم بالزواج بك .. وفى نفس الوقت تحبها ..

وحكاية الجمال كلام فراغ .. لأن التعود يقضى على الوحاشة وعلى الجمال .. والعين حينما تتعود على وجه وتألفه .. يفقد هذا الوجه ما يثيره فى النفس .. وتبقى الإنسانية والعشرة والأخلاق والحب والانسجام ، وهى أشياء أهم من الجمال فى الزواج ..

وما يقوله الناس عن المرأة العاملة من أنها ماخور يعب منها كل رجل كلام فارغ .. والذى أعلمه أن النساء العاملات أكثر عفة من غيرهن .

ولا شك أنكما أنتما الاثنان شريكان فى الخطيئة .. وليست هى وحدها التى يتوجه إليها الشك واللوم ولعل الله يتوب عليكما بالزواج والزواج ساتر وعاصم .

ورأيى إذا كانت شخصية صاحبتك تعجبك وإذا كانت نيتها على الاستقامة صادقة .. أن تتزوجها ..

٥١

الجزاء من نفس العمل

أنا ترزى سيدات بالاسكندرية ..

تعرفت فى أحد الأيام بشاب فلسطينى من اللاجئين يغنى فى أحد الكباريهات .. ودعانى صديق لمشاهدة البرنامج .. حيث عرفنى براقصة من زميلاته .. وقدمنى إليها على أنى ابن عمه ..

وأصبحت الراقصة زبونتى .. وعن طريقها تعرفت بامرأة غنية فى السابعة والثلاثين من عمرها ..

وقدمت نفسى للغنية الجميلة على أنى لاجئ فلسطينى مقطوع من شجرة .

وقدمت لى نفسها على أنها أرملة عراقى كبير ومن عائلة معروفة ..

ونشأ بيننا حب جارف .. شربنا كاساته حتى الثمالة .. ونعمنا به جسداً وروحاً .

ثم اكتشفت فجأة أنها تكذب علىّ .. وأنها قوادة مستهترة تتجر بالأعراض ، وليست أرملة عراقى وإنما هى أرملة كل الناس ..

ولم أستطع مكاشفتها لأن حبى لها كان قد ذهب بى بعيداً .. وعبر حدود العقل والمنطق .. ولسبب آخر هو أنى أيضاً كذاب .. فلست « لاجئاً فلسطينياً » .. ولست مقطوعاً من شجرة .. وإنما أنا مصرى

وأبواى على قيد الحياة ..

لقد كان كلانا صعلوكاً مغامراً ..

ولا أدرى ماذا أفعل الآن ..

أنا مخطئ وقد أوغلت فى الخطأ إلى حد تعذرت معه العودة إلى طريق السلامة ..

° ° °

سيدى ..

اشكر أقدارك على أن ضحيتك ليست فتاة ساذجة .. وإنما هى امرأة محتالة نازلتك بنفس سلاحك ..

إن قصتك تذكرنى بما قال ميترلنك عن العدالة ..

إنك لا تقابل إلا نفسك فى طريق القدر .. كن كاذباً تسرع إليك الأكاذيب .. كن لصاً تتشبث بك الجرائم .. فى أى طريق تذهب لن يكون قدرك إلا صورة من نفسك ..

إن نهر الحياة الدافق ينساب تحت قبة السماء ويجرى بين حيطان السجون . وإلى جوار القصور وليس يعنينا حجمه ولا بريقه .. وإنما كل ما يعنينا هو حجم الكأس التى نغمرها فى مياهه .. وإن هذه الكأس لتأخذ دائماً شكل أفكارنا ورغباتنا .. وتساوى سعة أشداقنا ..

إن حظك من الحب عادل ياصديق الصعلوك .. والكأس التى تشربها تساوى سعة قلبك ولون ضميرك ..

كلاكما طائران متشابهان ، وأسلم لكما وللمجتمع أن تظلا معاً إلى نهاية الطريق ..

٥٢

منافسة غير شريفة

توفى زوجى منذ عشرة أعوام .. وكان عمرى حين ذاك ثلاثين عامًا .. تاركًا لى ثروة كبيرة ، وثلاث بنات أكبرهن فى العاشرة ..

وكرست حياتى لبناتى حتى كبرن وتزوجت اثنتان إحداهما بمدرس فى كلية الهندسة .. والثانية بدكتور كبير .. أما الثالثة الصغرى فقد كبرت وأصبحت أمورة فى سن السبعتاشر ..

وشاءت الأقدار أن تتعرف على شاب .. وسرعان ما أحبته وشغلت به .. وأصبح محور أحاديثها فى كل وقت ..

وأنا تعودت دائمًا ألاّ أتدخل فى شئون بناتى من ناحية اختيار الأصدقاء وفى العادة أكتفى بالإشراف من بعيد ، ولكنى حينما علمت أن هذا الشاب متوسط التعليم وأنه حاصل على التوجيهية فقط فزعت وخفت أن تنتهى هذه العلاقة إلى زواج فاشل غير متكافئ لا يليق بنا .. وطلبت من ابنتى أن أتعرف عليه ..

واجتمعت به فى النادى لأول مرة .. وتركتنا ابنتى بعد فترة .. وقضينا فترة نتحدث ..

كلمنى عن حياته وآماله ومشاكله .. وتكلم بصراحة مطلقة لم أعهدها فى شاب .. تحدث عن ظروفه فى عدم الاستمرار فى التعليم وكيف أنه دخل كلية الآداب ونجح فيها لمدة عامين ثم خرج لأنه كان يحلم بأن يكون مهندسًا .. ولم يجد فى الدراسة الأدبية شفاء لأحلامه .. وكيف أنه دخل الجيش وقضى فيه سنة

ونصف سنة ثم خرج .. وكيف استقر أخيرًا فى وظيفة محترمة بمرتب كبير . وكيف اقتضت منه الوظيفة أن يسافر إلى عدة بلدان أجنبية .. وأن يتقن ثلاث لغات ..

وبتعدد مقابلاتى له بالنادى أدركت أنه يمتاز باطلاع واسع فى مختلف الثقافات .. فى العلم .. والأدب والفلسفة .. وأن عنده مكتبة تضم حوالى خمسمائة كتاب .. وعرفت أن له شخصية قوية .. ولم يكن هذا رأيى وحدى . فإن الكل كانوا يهابونه ويحترمونه .. وأزواج بناتى كانوا يشكرون فيه أخلاقه وسلوكه .. فى الحقيقة اطمأننت إليه .. وقلت فى نفسى .. مادام فى مركز محترم وصفاته حسنة ، وشابًا مؤدبًا ، وفوق ذلك ابنتى تحبه فلا بأس ...

وشجعت هذه الصداقة ..

وأصبحت ابنتى لاتبتعد عنه .. وتتصل به كل يوم فى التليفون .. ويتقابلان كثيرًا ..

وكانت طول الوقت تحدثنى عن كل ما يحدث بينهما .. ومن حديثها عنه كنت أشعر أنه ذو أخلاق كريمة .. فهو لم يحدث أن عانقها أو قبلها بالرغم من أن الفرص كانت تواتيه وكان يحب ابنتى ويقدرها ويحترمها .. ويحدثنى عن علاقة الرجل بالمرأة على أنها علاقة إنسانية قبل أن تكون علاقة جسد ..

وبتوالى الأيام وحديث ابنتى عنه .. كنت أحس باشتياق له ، وأنتظر موعد حضوره فى النادى أسبوعيًا بلهفة شديدة .. وتحولّ اشتياقى إلى حب جارف ملتهب .. وكانت تؤلمنى نظرته لى كأم ؛ حيث إنه فقد والدته وهو طفل .. ومع ذلك كنت أحبه وأعشقه وأتمناه زوجًا لى .. ولم لا ! فهو الرجل الذى يستطيع أن يسد مكان زوجى .. والشاب القوى الذى أحتاج إليه فى هذه السن .. ستقول عنى أنانية وخائنة فى حق ابنتى .. لكن أنا سيدة فقدت زوجى فى

الثلاثين ، والآن أشعر بالوحدة ، وسأكون وحيدة بعد أن تتركني ابنتي الثالثة ..
وأنا أحبه .. وأعشق رجولته وشهامته ..

وهكذا بدأت أفرق بينه وبين ابنتي حتى قطع رجله تمامًا من البيت .. ولكن الذي حدث كان أكثر من هذا .. فقد قطع رجله من النادي أيضًا ولم أعد أراه .. ولم يعد يتصل بي ولا بابنتي .. وكدت أجن من الشوق والتفكير .. ولازمني القلق ..

وأخيرًا تشجعت وطلبته بالتليفون وقلت إني أريده بالمنزل لمسألة هامة وأخليت المنزل ..

وحينما دق الجرس ورأيته أمامي .. فقدت أعصابي وألقيت بنفسي على صدره .. وعانقته وقبلته قبلات كثيرة .. كثيرة .. لم أفق منها إلا على صفعة لطمني بها على وجهي وهو يبعدني في اشمئزاز وإنكار ، وأدار وجهه وخرج .. وتركني ذليلة مكومة على أريكة ..

منذ تلك اللحظة وأنا أعيش في صراع فظيع .. وأفكر في الانتحار وأفكر في أني حقيرة .. ولكن ماذنب ابنتي ..

ابنتي تبكي ليلا ونهارًا .. وهو لا يتصل بها .. وهي تعتقد أنه سيخطب إحدى قريباته .. وهي لا تعلم الحقيقة .. ولا أجد عندي الجرأة لأقول لها الحقيقة ..

ماذا أفعل ؟.. إني أتمنى أن يعود إلى ابنتي .. ولا أمل لي أكثر من أن يعيش الاثنان سعداء معي .. وأرى سعادتهما من حولي ..

اكتب له ليعود ..

* * *

إنه لن يعود ..

إن الشهامة والرجولة والأخلاق .. لا يمكن أن تعود إلى أمثال هذه البيوت .. البيوت التي يخليها أصحابها .. ويستدعون الرجال بالتليفون للخدمات المستعجلة ..

إن ابنتك بريئة .. ولكنها تعيش معك في البيت .. والبيت ينقل عدواه لمن فيه .. ولا شك أنك كنت بريئة .. وأنت في سنها .. وهذه البراءة لم تمنعك من السقوط في سن الخمسين ..

وأسوأ مايخافه زوج شاب أن تختم حياته الزوجية بشناعة : إن شناعة في سن الخمسين سوأ ألف مرة من سقوط في سن العشرين ..

لأنها شناعة يائسة مخجلة ليس لها عزاء فيما تبقى من العمر ..

٥٣

الفريسة والصياد

أنا فتاة فى السادسة عشرة من عمرى .. جميلة .. وجذابة .. بدأت مشكلتى منذ حوالى سنة ونصف حينما كنت أعيش مع أمى ..

لم يكن ينقصنا شىء فى حياتنا .. فأمى امرأة غنية جدًا ترك لها والدى قبل وفاته أربع عمارات ذات إيراد كبير وعربة أنيقة جدًا .. وكانت تنفق بإسراف على زينتها وأناقتها ومظهرها .. وتعرفت أمى فى هذا الوقت على شاب فى السنة النهائية بكلية الآداب .. وكان شابًا أنيقًا .. وشرعت فى إغرائه بالفلوس وبالثروة التى فرشتها تحت قدميه ..

وكانت أحيانًا تصحبه معها إلى البيت الذى تعيش فيه .. وتكرر تردده إلى البيت كثيرًا ..

وفجأة وجدت أمى تخبرنى بزواجها من هذا الشاب الذى انتقل إلينا وأقام معنا .. وكان فى هذا الوقت قد تخرج فى الكلية والتحق بعمل محترم ..

ولاحظت أنه بدأ يتودد إلىّ وبدأ يعاملنى برفق وغزل ..

وفى يوم كانت أمى فى الخارج .. وجاء هو إلى المنزل وكنت وحدى فأخذ يلاطفنى حتى وجدت نفسى تحت تأثير كلماته المعسولة ملقاة على صدره وقد تلاقت شفتانا فى قبلات حارة ، ومنذ هذه اللحظة وأنا أحبه حبًا كبيرًا لا أقوى على مقاومته ..

وأصبحت أنتظر اللحظات التى نختلى فيها بأنفسنا ، وأقسم لك أن علاقتنا لم

تتعد القبلات والأحلام الجميلة واتفق معى على كل شىء ..

اتفق على أن يطلق أمى ويتزوجنى .. وفعلا تم الطلاق ..

وحتى هذا الوقت لم تكن أمى تعلم بشىء حتى فاجأتها بأنى سوف أتزوج من هذا الشاب الذى طلقها فجن جنونها وثارت ، وهددتنى بحرمانى من الميراث ، وبرغم ذلك صممت على الزواج منه ..

إنى أحبه .. أحبه .. أحبه .. سنة كاملة وعدة شهور ونحن ننعم فى نشوة الحب ..

وقد تعقدت المشكلة أخيرًا حينما أخبر أهله بنية زواجه فهاجوا جميعًا ووقفوا حائلا ضده بحجة أن الشرع لا يبيح مثل هذا الزواج ..

إنى أتعذب ..

لم تكن جريمة أن أحب شابًا تقرب سنه من سنى حبًا شريفًا خالصًا .

لقد اعترف لى أنه أخطأ بزواجه من أمى .. وأن حاجته إلى الفلوس فى ذلك الوقت هى السبب ..

إننا نتعذب .. ماذا نفعل ؟..

* * *

تأكدى أن الشرع على حق ..

إن الرجل الذى يشتهى الأم وابنتها فى نفس الوقت لا يمكن أن يؤتمن على كلمته أو على نظرته .. إنه زائغ الشخصية ..

وهذه حقيقة رجلك .. إنه زائغ الشخصية .. عينه زائغة بين فلوس أمك .. وشباب ابنتها .. وتأكدى أن عقله الطماع يرمى إلى مرام بعيدة .. فهو يعرف جيدًا أن أمك لا يمكن أن تحرمك من الميراث .. وأنها مهما كانت قاسية

فإنها سوف تلين فى النهاية وتعطيك حقك .. وهكذا تقعين له كما تقع الفاكهة المستوية .. جمال ومال ..

إنه ينظر إليك بنفس المنطق الذى كان ينظر به إلى أمك .. على أنك صيدة ..

إن كل شخصية لها منطق يحكمها .. والشخصية تغير سلوكها ولكنها لا تملك أن تغير منطقها .. لأن منطقها هو جوهرها وروحها .. وهذه روح صاحبك ..

إنه رجل سيئ .. تجنبيه .. ليس بسبب الشرع فقط .. وإنما لأنه إنسان كذاب .. عواطفه كذابة ..

٥٤

ليست أفعى

أنا شاب فى الثلاثين من عمرى أشغل منصبًا كبيرًا ومرتبى حوالى مائة جنيه .. متزوج منذ ٦ سنوات ولى أربعة أبناء وسن زوجتى ٢٥ سنة .. وباختصار أقول لك إن زوجتى متكاملة .. جامعية .. جميلة .. موظفة .. ست بيت .. أم .. زوجة .. حبيبة .

سارت حياتى الزوجية سوية نظيفة طوال هذه السنوات الست ، لم يتخللها شجار ولا تفكير فى خيانة ولا حتى نظرة منى إلى أية امرأة .

طول هذه المدة لم أشته امرأة ولم أفكر فى أنثى ، ولم يخطر على بالى مخلوق غير زوجتى .

كان شغلى الشاغل هو بيتى وأولادى وامرأتى .

بدأت تتسلل إلى نفسى – ولا أقول إلى قلبى – أفعى فى شكل فتاة سنها ١٧ سنة .

تسللت إلى مشاعرى أولاً عن طريق العطف ، فهى عاملة بسيطة ، مرتبها عشرون جنيهًا شهريًا .. عادية بل أقل من العادية ، ظروفها المادية والعائلية والاجتماعية تعسة جدًا فهى تعيش مع أسرتها المكونة من والدها طريح الفراش منذ عشر سنوات ، ووالدتها التى تكافح فى سبيل اللقمة وأختها الطالبة ، وأختها الأخرى العاملة ، كلهم يعيشون فى غرفة واحدة فى بدروم .

والبنت على مسحة من الجمال .. عطفت عليها وساعدتها ماديًا حينما شكت

فى ظروفها ثم دعتنى إلى منزلها واستقبلنى أهلها بحفاوة كبيرة .

ولكن هذه الأيام .. بدأت المشكلة .

وأخذت أتردد عليهم وأقنع نفسى بأى سبب للذهاب .

وبالتدريج أخذت هذه الفتاة تحتل مكانة فى نفسى تزداد بمرور الوقت .

وأخيرًا .. اشتهيتها .. نعم اشتهيتها .. وقبلتها خلسة .. على السلم .. ودعوتها للخروج معى (إلى أماكن عامة فقط) كل هذا دون أن تدرى زوجتى .

وهذه التصرفات تجعلنى أحتقر نفسى .. وأنا الذى كنت أحرم على عينى أن إلى امرأة غير زوجتى حتى ولو كانت ملكة جمال .

إنى أشعر أن حياتى الزوجية .. وكيانى وبيتى .. ومستقبلى كله يتهدم .

هل تصدق أنى لم أعد أستطيع النظر فى عين زوجتى .

هذا الشعور يعذبنى .

إنى واقع فريسة سهلة لدوافع متضاربة .. العطف والإشفاق .. وإغراء النزوة بعد ست سنوات من الحياة فى طهارة .. والملل .. والحياة الرتيبة الخالية من المغامرة .

والبنت متعلقة بى جدًا ، وطبعًا لها حق فأنا لقطة بالنسبة لها بالرغم من أنى متزوج وعندى أولاد ولست من دينها .. ودينى يمنعنى من تعدد الزوجات .

أحاول أن أتخلص منها وألعن الظروف التى عرفتنى بها .. ولكنى أعود فتنهار مقاومتى وأسرع إلى لقائها .

تعودت منذ صغرى أن أصلى إلى ربى مصدر عزائى ورجائى . أما الآن فإنى أخجل من المثول بين يديه .. وماذا أقول له .

لا أريد منك أن تقول اتركها .. فإن عطفى على هذه الأسرة يزداد يومًا بعد

يوم وعلاقتى بالفتاة تزداد بدرجة تجعلنى عاجزًا عن الاستغناء عنها .

وأنا محتار بين بيتى الذى أقدسه .. وهذا الشعور الجديد الذى اكتسحنى .

* * *

واضح جدًا أنك الجانب الأقوى والأقدر فى هذه المشكلة .. وأنك سيطرت على البنت الفقيرة وعلى أسرتها بمالك ومساعداتك المادية وعطفك (المشكوك فيه) .. وأنك استدرجتها .. وأنك الفخ والصياد ولست الضحية كما تصور لنفسك .

وليس صحيحًا أنك لقطة .. فأنت متزوج ولك أولاد ومن دين غير دينها ودينك لا يسمح لك بتعدد الزوجات .. إذن سوف تجرها خلفك (وأنت ابن الثلاثين وهى بنت السبعتاشر) بدون أمل وبدون جدوى سوى مساعداتك المالية .

وسوف تكون نتيجة حبها لك أن تفوتها فرص كثيرة فى الزواج وفى الحب من شاب ند لها .. فمن منكم الضحية .. أنت أيها الرجل القادر القوى الغنى المستغنى .. أم هى التى تعيش مع أمها المكافحة وأختها العاملة وأبيها المشلول فى غرفة فى البدروم .

وأنت تسميها أفعى . وأنت الأفعى الذى تلتف حولها لتعصر عودها وشبابها وعمرها بقروشك وعطفك الكاذب .. وفى النهاية سوف تبكى وتقول .. هدمت لى بيتى .

كفى رثاء لنفسك .. بدون داع .. واترك البنت لحالها وإذا أردت أن تساعدها فساعدها بكرم ورجولة دون أن تختلس منها القبلات على السلم .

وثق أنك إذا دامت علاقتك فسوف تنتهى حياتك الزوجية إلى الدمار المؤكد .

٥٥

جدير بالإشفاق

بدأت مشكلتى عندما تزوج والدى .. وكان زواجه بعد أربعين يومًا من وفاة أمى – من سيدةمطلقة ولها ولدان أحدهما أكبر منى بسنة .

وكانت معاملة زوجة أبى حسنة لدرجة جعلتنى أقول لنفسى ، لو أن أمى كانت على قيد الحياة لما عاملتنى أحسن من هذه المعاملة .

ومازلت أقول هذا الكلام بعد مضى تسع سنوات على زواج أبى .

لم تكن زوجة ابى هى المشكلةإذن .. ولكن المشكلة كانت فى أبى الذى بدأت تتغير معاملته لى بعد زواجه بدرجة أفزعتنى .. فهو كل يوم يحلفنى على المصحف ألا أخونه ولا أهتك عرضه ولا أغرى امرأته .. ولو قلت لك إن عدد هذه الحلفانات اليومية بلغت عدد شعر رأسى لما كنت كاذبًا .. فقد أصابت الرجل لوثة الغيرة والشك جعلته يرتاب فى كل لحظة بدون مبرر وبدون داع ..

وهو فى كل مرة يرتاب فيها يأتى بالمصحف لأحلف عليه ويطلب منى أن أقسم بعهد الله وبنور عينى وشبابى بأنى لم أفكر فى امرأته ولم أشتهيها ، ولم أنظر إليها نظرة حرام .

وفى رمضان كان يغلق عليها حجرات النوم ويأخذ المفتاح معه وأحيانًا يترك الباب مفتوحًا ليعود بعد دقائق يتجسس ويفتش وتطور الشك فى ذهنه إلى تصورات وهمية .. مرة يقول لى إنى أمسك ذراعها ، ومرة يقول إنى تحسست شعرها ، ومرة يقول إنى قبلتها ، مع العلم بأنها امرأة فى سن أمى نصيبها من

الجمال والجاذبية لايزيد على ٤ من ١٠ .

وتطورت حالته فأصبح لا يسمح لى بالبقاء فى البيت إذا خرج ، فهو يأخذنى معه حينما يخرج فى الصباح الساعة التاسعة ، ولا يسمح لى بالعودة قبل الواحدة .. وفى المساء يأخذنى معه الساعة السابعة لأتسكع كما أشاء ولا أعود قبل التاسعة .

وهو يعطى الخادمة تعليمات مشددة بأن تلازم الست طول الوقت ولا تخرج لقضاء أى طلب .. وإذا اكتشف أنها خرجت لأى غرض أصابه الهوس وبدأ يفتح تحقيقات لا آخر لها .

وأنا الآن طالب فى جامعة الإسكندرية فى السنة الثانية . ومن حسن حظى أنى أترك هذا المورستان وأرتاح منه طول السنة الدراسية .. ولكن ما تكاد الإجازة تبدأ وأعود إلى البلد حتى يعود العذاب والجحيم و « س » و « ج » .

آخر مرة أقام معى تحقيقًا طويلا عريضًا لأنه رآنى أقف بجانبها عند الثلاجة .

ومرة أخرى كنت آخذ من المطبخ ملعقة وكانت واقفة تطبخ .. إزاى أدخل عليها .. وأتلصص .. وأنظر إلى ساقيها ومفاتنها (ياريتك تشوف السيقان الغاب دول) .

العائلة فى خصام معه لأنه تزوج بعد وفاة أمى بأربعين يومًا ولأنه باع أرضًا تركتها لى أمى وأنفق ثمنها .. وهذه طبعًا مسألة ثانوية لا تهمنى .. إنما المأساة فى هذا التفكير الذى يفكر فيه والشك حتى حينما أترك البلد لأذهب إلى الإسكندرية تلازمنى همومى وتمنعنى من المذاكرة .

لا تظن أن والدى تعليم متوسط ، إنه رجل متعلم تعليمًا عاليًا وموظف درجة أولى على المعاش منذ ثلاث سنوات .

لقد فكرت أن أنتحر ولكن إيمانى منعنى .

ماذا أفعل فى هذا الجحيم الذى أعيش فيه ؟

* * *

إن من يعيش فى الجحيم الحقيق هو أبوك .

أنت تشارك بنصيب المتفرج شهورًا قليلة من كل سنة ، ولكن الذى يتقلب على جمر النار هو أبوك ، وكل الوساوس التى يحترق فيها لا أصل لها بالطبع ، إنها محض خياله وتصوراته .

ولكن رجل هذا خياله وتصوراته .. هو رجل مسكين جدير بالإشفاق ، والظاهر أنه تزوج فى خريف رجولته وأنه لم يعد يجد فى نفسه الكفاءة التى كان يجدها فى شبابه فانعكس شعوره بالنقص إلى شك فى زوجته وفى كل شاب يملك ما لا يملكه .

أبوك مريض .. وحالته حالة سيكوباثية .. ويجب أن تعيد النظر فى مشكلتك ولا تنظر فى أنانية إلى ما تعانيه أنت وحدك .

وتأكد أنك لو نظرت إلى عذابه فسوف يهون عليك عذابك .

رقم الإيداع	١٩٩٧/٧٨٥٤	
الترقيم الدولى	977-02-5437-1	ISBN

١ ٩٧/٢٥

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع)